
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
المعركة الفاصلة
٩٦
د. نبيل فاروق
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
www.liilas.com
ليلاس

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



المعركة الفاصلة

- كيف يواجه (أدهم صبري) حصار الشرطة ورجال (سونيا جراهام)؟..
- لماذا فقد (أدهم) وعيه، وسقط في قبضة أعدائه في (كيوتو)؟
- ترى هل تنتصر (سونيا) ورجالها على (أدهم) و (منى)؟.. ومن منهم سيربح هذه (المعركة الفاصلة)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل ويقاتل (رجل المستحيل).



العدد القادم: الصقر الأعمى

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الجحيم ..

انطلق رنين الهاتف الخاص، فى حجرة مكتب (سونيا جراهام)، فى قلب (نيويورك)، فامتدّت يدها بسرعة تختطف سمّاعته، وهى تقول فى لهفة:

- (جوان آرثر) .. من المتحدّث؟

أتاها صوت رجل العصابات (أكشن مايكل)، الذى يعمل لحسابها، وهو يهتف فى انفعال واضح:

- سيّدتى .. لقد عثرنا عليه.

ضغطت أصابعها على السمّاعة فى قوة، وارتجفت كل خلية من خلاياها، وهى تهتف:

- حقًا؟!

أجاب بسرعة، وصوته يتهدّج انفعالاً:

- نعم يا سيّدتى .. لقد فعلنا ما أشرت به بالضبط، وراجعنا كل سجلات العقارات، حتى عثرنا على منزل يمتلكه رجل يُدعى (ماريو ألبرتو)، منذ عام تقريبًا، وأجرينا تحريات سريعة، فعلمنا أنه لا يقيم بالمنزل، وإنما يأتى لقضاء يوم أو يومين، كل حين وآخر، وهنا تسلّل أحد رجالنا إلى مرأب خاص صغير أسفل المنزل، فعثر على (البورش) الحمراء .. لقد وقع فى أيدينا يا سيّدتى.

حاولت أن تنطق بشيء ما ، إلا أنها شعرت وكأن لسانها قد التصق بحلقها ، الذى جف كصحراء لم تنعم بماء المطر منذ سنوات ، فعجزت عن التفوه بحرف واحد لفترة ، جعلت (مايكل) يقول في قلق :

ـ سيدتى .. مسز (آرثر) .. هل تسمعينني ؟

كان انفعال جارف يعصف بأعماقها ، وعقلها يطحن عشرات المشاعر والأحاسيس ، ويمزجها ببعضها البعض فى سرعة وحرارة ..

إذن فقد ظفروا به ..

ظفروا بالرجل الذى لم تحب سواه ..

ولم تبغض مثله ..

الرجل الذى تزوَّجته يومًا(*) ..

والذى قاتلته أيامًا ..

الرجل الذى أنجبت منه ابنها الوحيد(**) ..

والذى تركها من أجل امرأة أخرى(***) .

ولم تدر ماذا تفعل ؟..

هل تفرح لانتصارها ، أم تحزن لفقده ؟..

هل تطلق ضحكة ظافرة ، أم تنفجر فى بكاء حار ؟..

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١) .

(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

(***) راجع قصة (الثعلب) .. المغامرة رقم (٨٦) .

ومرة أخرى ، هتف (مايكل) ، وقد انتابه قلق شديد :

ـ مسز (آرثر) .. هل أصابك مكروه ؟

انتزعت نفسها من كل مشاعرها وانفعالاتها ، وهى تقول بصوت أجش جاف :

ـ هل قتلتموه ؟

أجاب بسرعة :

ـ المفروض أن يكونوا قد فعلوا الآن يا سيدتى ؟

انتفض جسدها كله فى عنف ، وهى تهتف :

ـ المفروض ؟!.. ماذا تعنى بكلمة المفروض هذه ؟!.. ألم يلق مصرعه بالفعل ؟

أجاب مرتبكًا :

ـ إنها مسألة وقت ياسيدتى .. لقد انطلق رئيس الشرطة (جوزيه) خلفه ، مع فرقة ضخمة من رجاله ، وأربع طائرات هليوكوبتر ، وبصحبتهم (برنارد) وعشرة من الرجال ، بينهم (روكو) و (ماثيو) ، والجميع يحاصرون المنزل الآن ، و ...

صرخت فى غضب :

ـ لماذا اتصلت بى إذن أيها الغبى ؟

ارتبك فى شدة ، وهو يقول :

ـ أردت أن أنقل إليك الصورة كما هى يا سيدتى .

صرخت فى ثورة :
ـ أيها الغبى الحقير .. إنك تتصرّف بنفس الأسلوب السوقى المبتذل، الذى اعتدت التعامل به، فى عالم عصابات الشوارع، الذى كنت تنتمى إليه فى الماضى .
قال فى اضطراب :
ـ ولكن يا سيِّدتى ..
لم تمنحه فرصة للحديث، وهى تقول :
ـ لا تتصل بى أبدًا، إلا لتبلغنى بالنتائج .. فقط النتائج .. هل تفهم ؟
وأنهت المحادثة فى عنف، وهى تلهث فى انفعال، ثم أشعلت سيجارتها، وغمغمت فى توتر بالغ :
ـ إذن فأنت لم تمت بعد يا (أدهم صبرى) ..
وصرخت وهى تضرب سطح المكتب بقبضتها :
ـ لم تمت بعد .
وتفجَّر فى عينيها غضب الدنيا كله ..

★ ★ ★

كانت البداية منذ أيام قلائل، فور عودة (أدهم) بطائرته الخاصة إلى مزرعته فى (كيواوا) ..
لقد فوجئ بتدمير مزرعته تمامًا، وبستة من المقاتلين الأشدّاء تواجهه، وتقاتله فى عنف وشراسة، وهو لا يملك سوى مسدسه ..

وكان الصراع رهيبًا ..
ووحشيًا ..
ولكن (أدهم) قاتل بكل قوته، ونجح فى الفرار من كتيبة الدمار، إلا أنه لم يلبث أن فقد وعيه، فى قلب الصحراء، بعد قتاله مع ذئب مفترس ..
وظهر (برونكو فيلا)، الممرض القديم بالجيش المكسيكى، وابنته (ماريانا)، وأنقذا (أدهم) من موت محقَّق للمرة الثانية ..
وجنّ جنون (سونيا) ورجالها، الذين راحوا يجوبون الصحراء الجبلية كلها، بحثًا عن (أدهم) ..
وفى الوقت نفسه، كشفت المخابرات المصرية جاسوسًا بين صفوفها، أطلق النار على (قدرى)، وكاد يقتاله مع آخرين فى المستشفى ..
وكان هذا الجاسوس ينتمى إلى منظمة الجاسوسية الجديدة، التى صنعتها (سونيا جراهام) ..
منظمة (سناك) ..
الأفعى ..
وفى الوقت الذى تعدّ فيه المخابرات المصرية خطتها، للتوصل إلى أسرار المنظمة الجديدة، كان رجال (سونيا) قد عثروا على (أدهم)، وحاصروا مزرعة (برونكو) ..

وبدأت مرحلة جديدة من الصراع الوحشى ..

ولكن (أدهم)، و (برونكو)، و (ماريانا) نجحا فى الفرار، عبر سرداب قديم، وانطلقوا نحـو مدينـة (كيواوا) ..

ولم يخل الطريق من صراعات رهيبة، انتهت بتصدى (أدهم) لجيش (برنارد) الصغير وحده ..

وبخدعة ماهرة متقنة، هزم (أدهـم) (برنـارد) ورجاله، ونجح فى الهروب إلى المدينة، حيث اختفى هناك تمامًا ..

ووصلت (منى توفيق) إلى (كيواوا)، للبحث عن (أدهم صبرى) ونصرته، ولكن الشرطى المرتشى، رئيس الشرطة (جوزيه)، دبّر خطة لإلقاء القبض عليها، بتهمة ترويج المخدرات، بإيعاز من (مايكل)، ذراع (سونيا) اليمنى ..

وقاتلت (منى) لتدافع عن نفسها ..

قاتلت بكل قوة وشراسة ..

ثم ظهر (أدهم) ..

ومع ظهوره، انقلبت الموازين كالمعتاد، وبدا القتال أكثر تكافؤًا، حتى أن (برنارد) ورجاله راحوا يطلقون النار فى غزارة، وهم يصرخون فى غضب وحنق ..

وقرّر (أدهم) قلب المائدة على رءوس الجميع ..

وبدأ مرحلة الهجوم ..

ولكن (سونيا) راحت تدرس الأمر فى إمعان، ثم أخبرت رجالها كيف يعثرون على (أدهم) ويقاتلونه ..

وفجأة، وجد (أدهم) و (منى) نفسيهما محاصرين فى منزل خاص، كان (أدهم) يعده كمنزل آمن، بعد أن ابتاعه باسم (ماريو ألبرتو) ..

ولم يعد هناك مكان للفرار ..

أى مكان(★) ..

★ ★ ★

أطلق (برنارد) العنان لشماتته وشراسته وروح الظفر فى أعماقه، وهو يتطلّع إلى (أدهم) و (منى) بعينين متألقتين، فى حين هتف (ماثيو):

- هل أدركت الآن أنه لا فرار منا يا رجل؟

وقال (روكو) فى غضب:

- الآن ستدفع ثمن ما فعلته برجالنا .. سنحوّلك إلى مصفاة.

وظهر (جوزيه) فجأة، وهو يبتسم فى خبث شامت، ويقول:

(★) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزءين، الأول والثانى، (كتيبة الدمار).. (الصراع الوحشى).. المغامرتين رقمى (٩٤)، (٩٥).

- مهلًا أيها السادة .. القانون هو القانون .. السنيور (أميجو) مليونير معروف، ويستحق محاكمة عادلة .

هتف (برنارد) :

- فليكن .. أهو مذنب أم غير مذنب ؟

أطلق (ماثيو) ضحكة ساخرة، وهو يجذب إبرة مدفعه الآلى، قائلًا :

- مذنب .

فصاح (روكو) فى جذل وحشى :

- حكمنا بإعدامك رميًا بالرصاص .

ارتجفت (منى) فى شدة، وهى تواجه هؤلاء الوحوش، ولكن (أدهم) احتفظ بابتسامته الساخرة، وهدوئه الواضح، وهو يقول :

- أحسنتم أيها السادة .. تقبلوا تهنئاتى .

قال (ماثيو) فى حدة :

- عظيم .. لقد تقبلناها، والآن .. تقبل أنت رصاصاتنا .

قالها وهو يصوب إليه مدفعه الآلى فى غضب، ولكن ابتسامة (أدهم) الساخرة اتسعت، وهو يقول :

- هل تظن حقًا أننى لم أتخذ الاحتياطات اللازمة ؟

أثارت عبارته قلقًا عجيبًا، فى نفوس الجميع، خاصة وهى تشترك مع ابتسامته الساخرة، أو هدوئه الظاهرى الغريب، فتبادل (جوزيه) و (برنارد) نظرة متوترة، فى حين هتف (روكو) :

- اقتلوه على الفور .. إنه يحاول خداعنا .

قال (أدهم) ساخرًا :

- هيا .. افعل يا رجل .. أطلق النار علىَّ، ولن أقاومك .. فقط سأضغط هذا الزر الأحمر .

قالها وهو يبرز أمام أعينهم ذلك الجهاز الصغير، الذى يمسك به فى يده، قبل أن يستطرد :

- وعندئذ تعرفون معنى الجحيم الحقيقى .

فقد (روكو) الكثير من ثقته، وتطلع إلى (برنارد) فى قلق، فسأل هذا الأخير فى عصبية :

- وما الذى سيفعله هذا الزرّ الأحمر ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة، وهو يقول :

- أمر بسيط .. إنه سيشعل أكثر من مائة قنبلة، تحيط بالمنزل كله .. وكلها من قنابل (النابالم) المحرقة .. أى أن المكان سيتحوّل فى غمضة عين إلى أتون ملتهب، لايستطيع أشجع الشجعان الاقتراب منه، لمسافة خمسة أمتار .

وابتسم في سخرية أشد، مضيفًا :

ـ فماذا عمن هم داخله ؟!

ارتجف الرجال فى ارتياع، وفكرة الموت حرقًا تزلزل كيانهم، وغمغم (جوزيه)، وكأنما يحاول إقناع نفسه :

ـ لا .. إنها خدعة بالتأكيد .. لو ضغطت الزر، ستموت معنا فى هذا الأتون .

قال (أدهم) متهكمًا :

ـ حقًّا ؟!.. وهل تجد فارقًا ؟

مرّت لحظة عجيبة من الصمت، قبل أن يغمغم (ماثيو) فى توتر :

ـ هل ستصدقونه ؟

قال (أدهم) فى بساطة :

ـ ليس بهذه السهولة .. إنهم يحتاجون إلى تجربة عملية .

وبضغطة صغيرة على الزر الأحمر، دوى انفجار عنيف فى الخارج، وتصاعدت ألسنة اللهب فى نقطة مقابلة للمنزل، فأسرع رجال الشرطة الذين يحاصرون المكان، يعْدُون مبتعدين منها، وهى تتسع فى سرعة، فارتجف الرجال داخل المنزل، وكاد (برنارد) يموت غيظًا، وهو يهتف :

ـ أيها الحقير .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة، وقال :

ـ لاتضيع وقتك فى عبث لاطائل منه أيها الوغد، واتخذ قرارك بسرعة .. هل ستبتعدون جميعًا، أم نموت معًا ؟

تبادل الجميع نظرة مليئة بالتوتر والعصبية والقلق، فى حين تساءلت (منى) فى أعماقها : هل يعنى (أدهم) بالفعل ما يقول ؟!..

هل سيحيل المكان إلى بؤرة من الجحيم، لو أطلق أحدهم النار ؟!..

كانت فكرة الموت حرقًا تفزعها أيضًا، ولكنها شعرت أن (أدهم) لن يسمح أبدًا بموتها على هذا النحو البشع ..

إنه يعد وسيلة للفرار حتمًا ..

ولكن كيف ؟!..

انتزعها صوت (أدهم)، الذى حمل لهجة صارمة هذه المرة، وهو يقول :

ـ هيا أيها السادة .. أريد قرارًا سريعًا .. لست أتميَّز بالصبر .

عادوا يتبادلون تلك النظرة المتوترة، ثم غمغم (برنارد) فى غضب :

ـ لا .. لن أسمح لك بالفرار، هذه المرة أيضًا .

ورفع فوهة مدفعه الآلى فى حدة، وهو يستطرد صارخًا :

ـ ليس مرة أخرى .

ولكن (ماثيو) و (روكو) انقضا عليه، وانتزعا منه المدفع الآلى فى عنف، وهما يهتفان :

ـ هل جننت يا رجل ؟.. إنك ستقتلنا جميعًا .

قاومهما فى عنف، وهو يهتف :

ـ المهم ألا يفلت منا .

صاح (جوزيه) :

ـ فليفلت ألف مرة، ما دمنا سنبقى على قيد الحياة .

ابتسم (أدهم)، وهو يقول :

ـ قول حكيم أيها الوغد .

ثم أضاف فى صرامة :

ـ والآن يا (جوزيه) .. مر رجالك بالعودة إلى منازلهم، والابتعاد عن هنا مسافة ثلثمائة متر، أما طائرات الهليوكوبتر الأربع، فسترحل نهائيًا، وسنخرج من هنا، أنا وزميلتى، وأنت وهؤلاء الأوغاد الثلاثة معًا، حتى نستقل سيارتنا (البورش) الحمراء الأنيقة، ونلقى عليكم تحية الوداع، وننصرف فى هدوء .. وبالمناسبة .. فليلق الجميع أسلحتهم .

جن جنون (برنارد)، وراح يصرخ :

ـ إنه يملى شروطه !.. هل رأيتم شيئًا كهذا ؟!.. جيش كامل يحاصره، وهو يملى شروطه !.. يا للمهزلة !

ولكن (جوزيه) تجاهله تمامًا، وهو يمسك جهاز اللاسلكى، ويقول فى عصبية :

ـ إلى جميع القوات .. لقد انتهى الحصار .. ابتعدوا عن هنا .. أخلوا المنطقة تمامًا .. ولترحل طائرات الهليوكوبتر .. هذا أمر .

ثم التفت إلى رجاله، وقال فى توتر :

ـ ألقوا أسلحتكم .

بدا الحنق على الجميع، وخاصة (ماثيو) و (روكو)، ولكنهم ألقوا أسلحتهم، ووقفوا يتطلعون إلى (أدهم) فى مقت وكراهية، وهم يقيدون (برنارد)، الذى راح يقاومهم فى شراسة، وهو يصرخ :

ـ إنه يخدعكم .. سترون إنه يخدعكم .

ولكن ألسنة اللهب، التى أطلقها انفجار القنبلة الأولى، لم تكن قد خبت بعد؛ مما أضاع تأثير كلماته على الجميع، فأفسحوا الطريق إلى (أدهم) و (منى)، وتبعوهما صاغرين، و (أدهم) يفتح المرآب الصغير، ويجلس خلف عجلة قيادة (البورش)، وهو يقول لـ (منى) بابتسامة هادئة عذبة :

ـ تفضلى يا أميرتى .

ولم تكد تحتل مقعدها ، حتى لوّح بيده ، وقال :

ـ إلى اللقاء أيها الأوغاد .. سنلتقى مرة ثانية ، لو أنكم سيئو الحظ .

وأطلق ضحكة ساخرة مجلجلة ، تردد صداها فى المرآب الصغير ، ممزوجًا بصوت محرك (البورش) ، التى انطلق بها (أدهم) بكل سرعتها ..

ولثوان ، خيم على الجميع صمت رهيب ، ثم صاح (برنارد) :

ـ هل تركتموه يفلت من كل هذا أيها الأغبياء ؟

تنهدوا فى مرارة ، و (جوزيه) يقول :

ـ لم يكن أمامنا سوى هذا .

ولكنه عاد يعقد حاجبيه فى غضب ، وهو يستطرد :

ـ ولكن هذا لايعنى أن الأمر قد انتهى .

وضغط زرّ جهاز اللاسلكى الذى يحمله ، وهو يقول فى حدة :

ـ إلى جميع القوات .. المتهم انطلق بسيارتــه (البورش) الحمراء فى اتجاه الشرق .. طاردوه بكل سياراتكم ، وبالطائرات الأربع .. أريده جثة هامدة بعد ساعة واحدة .. هل تفهمون ؟



وضغط زرّ جهاز اللاسلكي الذى يحمله ، وهو يقول ق حدة :

وأنهى الاتصال ، وهو يستطرد فى حنق :

ـ حسن ياسنيور (أميجو) .. لقد أردته جحيمًا .. فليكن إذن جحيمًا بحق .. جحيمى أنا .

وبرقت عيناه فى شراسة مخيفة .

★ ★ ★



٢ ـ المطـاردة ..

أطلقت (منى) زفرة قويـة ، وهى تهتف فى توتر ملحوظ :

ـ حمدًا لله .. لم أتصوَّر أبدًا أننا سننجو منهم .. هذا يبدو أشبه بالمعجزة .. تصوَّر .. جيش كامل يحيط بنا ، ويحاصرنا بكامل عدته .. أكثر من مائة رجل ، وأربع طائرات هليوكوبتر ، وعشر سيارات شرطة ، ثم نخرج من كل هذا كما يخرج الشعر من العجين الطرى .. إنها معجزة بحق .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لم يعد القتال يعتمد على الكثرة العددية يا عزيزتى ، وإنما على العقل ، وحسن التدبير .

هتفت :

ـ والقوة أيضًا .. لاتنس أننا كنا نحاصرهم فى الوقت ذاته ، بمائة قنبلة حارقة .

قال فى خبث :

ـ حقًا ؟!.. ليست لدى أدنى فكرة عن هذا .

التفتت إليه، قائلة :

ـ لاتسخر منى .. إننى أتحدث عن قنابلك الحارقة .

هزّ كتفيه، وهو يبتسم قائلًا :

ـ أية قنابل ؟!.. لم تكن هناك سوى قنبلة واحدة، انفجرت أمام عينيك .. من أين لى بمائة قنبلة حارقة ؟

حدقت في وجهه لحظة، ثم هتفت :

ـ أتعنى أن كل هذا لم يكن سوى ...

انفجرت ضاحكة فجأة، قبل أن تتمّ عبارتها، وضربت كفًا بكف، وهى تقول :

ـ لايمكننى أن أصدق هذا .. إذن فقد هزمتهم جميعًا بقنبلة واحدة .. يا لك من مخادع !

رفع سبابته، وهو يقول :

ـ أنت وأنا نعلم أنها قنبلة واحدة، أمّا هم، فقد كانت عقولهم مؤهلة لتصديق أنها مائة قنبلة .. فلو أنهم فى موضعى لفعلوا هذا .. أليس كذلك ؟

تطلعت إليه بإعجاب، وقالت :

ـ (أدهم) .. أنت عبقرى .

قال مبتسمًا :

ـ وأنت أميرتى الحسناء .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل، وهى تقول فى خفوت :

ـ أما زلت تعتبرنى كذلك ؟

قال فى حسم مخلص :

ـ بكل تأكيد يا (منى) .. هل شككت يومًا فى هذا ؟

خفق قلبها فى سعادة، وهو ينطق هذه الكلمات ..

صحيح أن كل ما يفعله يؤكد حبه لها، وشدة تعلّقه بها ..

ولكن هكذا النساء ..

يختلج قلب الواحدة منهن لسماع كلمات الحب والعشق والإعجاب، عندما تخرج من بين شفتى من يحبون ..

إنها تبدو ـ عندئذ ـ أشبه بموسيقى عذبة ساحرة، يتراقص لها القلب، وتستمتع بها الآذان ..

ولحظتها نسيت (منى) كل ما حولها ..

نسيت أنهما هاربان من جيش كامل ..

نسيت أن مهمتهما لم تنته بعد ..

كل ما تذكرته وشعرت به، هو أنها تجلس إلى جواره ..

تستمع إليه ..

تراه ..

ولكن فجأة، وثب إلى ذهنها سؤال، أعاد إليها ذاكرتها، فسألته فى قلق :

- ترى ماذا سيفعلون، بعد أن ابتعدنا عنهم ؟

أجابها مبتسمًا فى هدوء، وكأنه يتحدث عن أمر لا يعنيه :

- سيطلقون كل كلابهم خلفنا بالطبع .

امتقع وجهها، وهى تهتف :

- يا إلهى !.. أتعنى أننا سنخوض هذا العذاب مرة أخرى .

قال فى هدوء :

- أعتقد أنه لا مفرّ من هذا يا عزيزتى .

عقدت حاجبيها فى ضيق، ولكنه استدرك بابتسامة ماكرة :

- إلّا إذا ..

سألته فى لهفة :

- إلّا إذا ماذا ؟

انحرف يمينًا، وأوقف السيارة على جانب الطريق، وهو يجيب :

- إلا إذا غادرنا (البورش) الحمراء، التى يميزوننا بها .

أسرعت تغادر السيارة، وهى تقول :

- سيؤسفنى أن أفقد مثل هذه السيارة الرائعة، ولكنها فكرة جيّدة .. والآن أين نذهب، بعد أن كشفوا أمر منزلك الآمن ؟

قال فى هدوء، وهو يسير إلى جوارها :

- ما رأيك بالذهاب إلى آخر مكان يتوقعونه ؟

- سألته فى اهتمام :

- وما هو ؟..

ابتسم فى غموض، مغمغمًا :

- خمّنى .

ولم يفصح على الفور ..

* * *

بدا الغضب فى وجه الطبيب المعالج، فور دخوله إلى حجرة العناية المركّزة، وهتف فى حدة، موجهًا حديثه إلى ممرضة القسم :

- ما هذا بالضبط ؟.. ألم أحذّركم من تقديم أية أطعمة دسمة لهذا الرجل ؟.. هل خدعكم بتزوير توقيعى مرة أخرى ؟

تنهدت الممرضة فى يأس، وهى تقول :

- إننى أستسلم .. لم أعد أستطيع التعامل معه .

صاح الطبيب فى غضب :

ـ ماذا تعنين بأنك لا تستطيعين التعامل معه ؟.. أنت ممرضة القسم المسئولة ، ولن أقبل منك أعذارًا سخيفة كهذه .

زفرت الممرضة مرة أخرى ، وقالت فى عصبية :

ـ لقد أصابنى اليأس ، وأنا أطلب إجازة طارئة من العمل ، أو نقلى إلى قسم آخر .

بُهت الطبيب لجوابها ، فالتفت إلى (قدرى) ، قائلًا فى حدة :

ـ ماذا فعلت بها ؟.. بل ماذا تفعل بنفسك ؟.. هل تعلم ما يمكن أن يفعله بك هذا الطعام ، الذى تحشو به معدتك ، وأنت تمرّ بمرحلة النقاهة ، بعد عملية جراحية شديدة الخطورة ؟

كان (قدرى) مستمرًا فى تناول طعامه بمنتهى الهدوء ، وهو يقول :

ـ إنه يزيدنى قوة .

صاح الطبيب :

ـ بل يضعف من مناعتك ، ويؤجل مرحلة الشفاء .

رفع (قدرى) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. لست أشعر بهذا قط .

ثم ربّت على كرشه الضخم ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ إننى ـ على العكس ـ أشعر بالسعادة .

قال الطبيب فى عصبية ، وهو يبعد الطعام عنه ، ويلتقط أدوات الفحص :

ـ كلها مشاعر زائفة .. أراهن أننا سنجد تأخرًا واضحًا فى حالتك .

وراح يفحصه بكل اهتمام وعناية ، وبمزيد من الدقة ، و (قدرى) هادئ مستسلم ، حتى انتهى الطبيب من فحصه ، وتراجع متمتمًا فى حيرة :

ـ عجبًا !.. لقد التأم الجرح تقريبًا ، وكل شىء على ما يرام .. عجبًا !

ابتسم (قدرى) فى شماتة ، وهو يقول :

ـ ألم أقل لك ؟

ثم عاد يربّت على معدته ، مستطردًا :

ـ كل آلة تحتاج إلى وقود .

وجذب إليه الطعام مرة أخرى ، وواصل أكله فى شراهة ..

* * *

كان توتر (برنارد) يتصاعد تدريجيًا نحو الذروة ، وهو يقف أمام (البورش) الحمراء ، وقد احتقن وجهه بشدة ، حتى كاد ينافس السيارة احمرارا ، فى حين وقف (جوزيه) إلى جواره ، يهتف فى حنق :

ـ أين ذهبا ؟.. اللعنة !.. ماداما قد تركا السيارة هنا ، فهما لم يبتعدا كثيرًا ، ولم تنشق الأرض وتبتلعهما حتمًا .

لوّح (ماثيو) بيده ، وهو يقول غاضبًا :

ـ لو وقعت يدى عليهما مرة ثانية ، فإنى أقسم أن أمزق ذلك الشيطان أربًا ، حتى ليتمنى لو أنه لم يولد قط .

وقال (روكو) فى حدة :

ـ لا .. لن نقتله مباشرة .. سأعذبه بيدى ، وأقتلع لسانه ، وأفقأ عينيه ، ثم أسلخ جلده حيًا ، قبل أن أذبحه كالنعاج .

لم ينطق (برنارد) حرفًا واحدًا ، وهو يراقب رجال الشرطة ، الذين التفوا حول (البورش) ، يفحصونها فى حذر ، والدماء تغلى فى عروقه ، حتى نهض أحد رجال الشرطة ، وزفر فى توتر ، وهو يقول :

ـ إنها نظيفة ، لا تحوى أية شراك خداعية ، ولقد عثرنا داخلها على هذا .

مد يده بجهاز التحكم عن بعد ، الذى استخدمه (أدهم) لتفجير قنبلة (النابالم) ، فاختطفه (برنارد) منه بحركة عنيفة ، وحدق فيه لحظة ، و (جوزيه) يقول :

ـ أعطنى هذا الشىء يا سنيور (برناردو) .. إنه أحد أدلة الاتهام ، والـ ...

لم يترك له (برنارد) فرصة لإتمام حديثه ، وإنما اندفع فجأة إلى سيارته ، وقفز داخلها ، فصاح (جوزيه) :

ـ ليس هذا من حقك .. الدليل يخص الشرطة وحدها .

ولكن (برنارد) انطلق بالسيارة فجأة ، فأسرع (ماثيو) و (روكو) إلى سيارة أخرى ، وانطلقا خلفه ، و (ماثيو) يقول فى قلق :

ـ ماذا أصابه ؟.. إنه ينطلق كالمجنون .

لحق بهم (جوزيه) ، فى واحدة من سيارات الشرطة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا أصاب هذه البلدة ؟!.. الجميع يتجاهلون القانون .. سأصاب بالجنون فى النهاية ، لو استمر الحال على ما هو عليه .

وانطلق ذلك الموكب الصغير ، عبر شوارع (كيواوا) ، فى طريقه إلى منزل (أدهم) مرة ثانية ، وعلى مسافة مائة متر من المنزل ، أوقف (برنارد) سيارته ، وقفز منها ، وتطلّع إلى المنزل لحظة فى مقت ، ثم قال وهو يرفع جهاز التحكّم عن بعد نحوه :

ـ هناك وسيلة واحدة للتأكّد .

صاح (ماثيو) و (روكو) ، وهما يقفزان من سيارتهما :

ـ ماذا ستفعل أيها المجنون ؟

وشحب وجه (جوزيه) ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ـ يا للشيطان !.. سيشعل هذا الأحمق المدينة كلها .

ولكن (برنارد) ضغط الزر فى حزم ..

وانتفضت أجساد الجميع ، و ...

ولم يحدث شىء ..

واتسعت العيون فى ذهول ، ثم لم يلبث أن استحال إلى هادر ، و (برنارد) يلقى الجهاز بعيدًا بكل قوته ، صارخًا :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنها خدعة سخيفة وحقيرة .. كنت أعلم هذا .

تمتم (ماثيو) ذاهلًا :

ـ إذن فهى خدعة .

صرخ (برنارد) :

ـ نعم .. خدعة انطلت عليكم جميعًا أيها العباقرة .. خدعة جعلتكم تطلقون سراح ذلك الشيطان بأيديكم .. بل تفسحون له الطريق فى رعب ، حتى أفلت من بين أيديكم ، كما يفلت الماء من شبكة صيد ضخمة .

امتقع وجه (جوزيه) لحظة ، ثم لم يلبث أن احتقن فى شدة ، وهو يقول :

ـ يا للشيطان !.. يا للشيطان !

التفت (برنارد) إليهم ، وقال :

ـ لم يعد القتال يصلح ، بهذا الأسلوب الذى نتبعه أيها السادة .. إننا نحتاج إلى أسلوب جديد ، وخطة مبتكرة للصيد ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

ـ صيد الشياطين ..

★ ★ ★

فرك (ناصر خيرى) كفيه فى توتر بالغ ، وهو يجلس إلى جوار أحد ضباط المخابرات ، داخل سيارة صغيرة مصرية الصنع ، أمام واحدة من البنايات المتوسطة الارتفاع ، فى حى (حدائق القبة) وتطلّع إليه الضابط فى صرامة ، وهو يقول :

- تذكر أننا نراقب كل حركاتك وسكناتك ، عن طريق الأجهزة ، التى زرعناها فى تلك الشقة ، فقم بدورك كما لو أن أحدًا لم يكشف أمرك بعد .

أومأ (ناصر) برأسه إيجابًا ، وهو يزدرد لعابه فى صعوبة ، فقال الضابط :

- حسن .. اذهب الآن .

غادر (ناصر) السيارة وهو يرتجف ، واتجه فى خطوات متعثرة إلى بناية أخرى ، تشبه الأولى فى الارتفاع ، ولكنها تبعد عنها خمسين مترًا تقريبًا ، فصعد إلى الطابق الرابع منها ، ودق باب أول شقة إلى اليسار ، ولم تمض لحظات ، حتى فتح رجل أمريكى الملامح الباب ، فازدرد (ناصر) لعابه مرة أخرى ، وهو يقول :

- معذرة .. كنت أبحث عن مشتر لسيارتى القديمة .

بدا شبح ابتسامة ، على طرف شفتى الأمريكى ، وقال همسًا :

- أهى حمراء اللون ؟

أجابه (ناصر) فى سرعة :

- بل بنية بمقدمة سوداء .

كان هذا يكفى لإتمام التعارف ، فأفسح الرجل الباب ، وقال :

- تفضل .. كنا فى انتظارك .

دلف (ناصر) إلى الشقة فى توتر ، وهو يقدم رجلًا ويؤخر أخرى ، ورأى رجلين آخرين ينهضان لاستقباله ، فغمغم فى صعوبة :

- أكل شىء على ما يرام ؟

أجابه أحد الرجال الثلاثة :

- بالتأكيد .. إننا نلتقط كل شىء فى وضوح .

أزاح (ناصر) ستارة النافذة فى حذر ، وهو يقول :

- هل يبدو المبنى واضحًا من هنا ؟

أجابه آخر :

- ليس تمامًا ، ولكن من الواضح أن الأجهزة تعمل بكفاءة تامة ، فنحن نسجل الأصوات ، ونسمعها فى وضوح .

وسأله آخر :

- هل أعددت السيارة ، والأشياء الأخرى ؟

أومأ (ناصر) برأسه إيجابًا ، وقال :

- كل شىء على مايرام .

ابتسم أحد الأمريكيين الثلاثة ، وهو يقول :

- وسيكون كل شىء لدينا أيضًا على مايرام .

ارتجف جسد (ناصر)، وظلّ لحظات صامتًا ساكنًا، يتطلّع إلى مبنى المخابرات فى شرود، عبر النافذة نصف المفتوحة، ثم خفض عينيه، وقال فى توتر :

ـ كيف حال الطقس هنا ؟.. هل يبدو حارًا ؟

كان السؤال عاديًا بسيطًا، بالنسبة لمصرى يتحدّث مع أجانب، يختلف الطقس فى بلادهم تمام الاختلاف، عن الطقس فى بلاده، إلا أن الرجال الثلاثة ظلّوا لحظات صامتين، يتطلّعون إليه فى شىء من الحذر، قبل أن يقول أحدهم فى بطء :

ـ هل تجده كذلك ؟

هزّ (ناصر) كتفيه، وقال :

ـ الأمر يتوقّف عليكم .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة قلقة، فى حين التفت إليهم (ناصر)، وتابع :

ـ على أية حال، أنا رهن إشارتك، لو احتجتم إلى أى شىء فى (القاهرة) .. لديكم رقم هاتفى .. أليس كذلك ؟

غمغم أحدهم :

ـ بالتأكيد .

وهنا لوّح (ناصر) بيده، وقال :

ـ إلى اللقاء إذن .. واصلوا عملكم .

وعلى بعد أمتار قليلة، فى مبنى المخابرات العامة، حكّ مدير المخابرات ذقنه بسبّابته، وهو يراقب الموقف على شاشة مراقبة، ويغمغم :

ـ هذا الأمر لايروق لى .

أجابه أحد معاونيه :

ـ أنت على حق ياسيّدى .. أسلوب الحديث مثير للشك .

سأله المدير :

ـ هل تعتقد أن (ناصر) قد خاننا ؟

هزّ رأسه، قائلًا :

ـ لايمكن الجزم بهذا الآن .

رأى المدير ومعاونيه، على شاشة ثانية، (ناصر) يعود إلى السيارة الصغيرة، التى تنطلق به إلى حيث يجلسون، فقال أحدهم :

ـ لو أنه خدعنا، فليس من المنطقى أن يعود إلينا هكذا .

هزّ المدير رأسه، وقال :

ـ ليس هذا بالدليل المنطقى، فهو يعلم أنه مضطر للعودة .

حك مدير المخابرات ذقنه بسبابته ، وهو يراقب الموقف على شاشة مراقبة ..

قال آخر :

ـ هذا سبب لعدم خيانة .

ولكن أحد المعاونين هتف فجأة :

ـ رباه !.. انظروا .

التفت الجميع فى سرعة إلى الشاشة الأولى ، التى تنقل ما يحدث فى منزل الأمريكيين ، وهتف آخر :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

ولم يتلق جوابًا محددًا ، فقد كان ما يفعله الأمريكيون عجيبًا ..

عجيبًا بحق .





٣ ـ الضربة الثانية ..

كان الاجتماع عنيفًا صاخبًا هذه المرة ، فى مكتب الحاكم (خوان) ، و (برنارد) يقول فى حدة عصبية ، جعلت وجهه يحتقن فى شدة :

ـ لقد فشلنا مرة أخرى .. فشلنا جميعًا أمام رجل واحد .. أتدرون ما السبب أيها السادة .. إننا نفتقر إلى القيادة الحاسمة الموحّدة .. إلى الرجل الواحد والقرار الواحد ، فى كل خطوة نخطوها .

أجابه (جوزيه) فى انفعال :

ـ فليكن .. سأتولى قيادة كل هذا .

التفت إليه (برنارد) فى حدة ، وقال :

ـ لست تصلح لهذا .

انتفض (جوزيه) ، صائحًا فى غضب :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟.. ماذا تعنى !

صاح به (برنارد) :

ـ أعنى أنك أحمق وغبى ومغرور ، ولا تصلح لقيادة قطيع من الماعز .

صرخ (جوزيه) فى ثورة :

ـ ماذا تقول يا رجل ؟!.. إنك تسبّ رئيس الشرطة .. هل تعلم أننى أستطيع وضعك خلف القضبان ثلاثة أعوام كاملة ، من أجل هذا ؟

صاح به (برنارد) فى حدة :

ـ وأنا أستطيع حرمانك من المائة ألف دولار ، التى تنتظرها كمكافأة ، بعد الإيقاع بذلك الشيطان .

قال الحاكم فى صرامة :

ـ كفى .. أنكما تتجاوزان حدودكما .

صاح (برنارد) ، وهو يشير إلى (جوزيه) فى غضب :

ـ هذا الفاشل سمح للرجل والمرأة بالفرار ، بعد أن حاصرناهما بجيش كامل .

هتف (جوزيه) :

ـ ماذا عنك أيها العبقرى ؟!.. ألم تحاصر الرجل وحده فى مزرعة (برونكو) ، بجيش كامل ، ثم خدعك وفرّ إلى هنا .

احتقن وجه (برنارد) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ أيها الحقير الـ ...

هبّ (مايكل) واقفًا ، وهو يقاطعه فى صرامة :

ـ كفى .. لقد صدق الحاكم .. أنكما تجاوزتما الحدود المسموح بها هذه المرة .

قال الحاكم غاضبًا :
ـ وفى مكتبى .
هتف (جوزيه) :
ـ هذا الرجل هو الذى تجاوز الحدود .. لقد سمعتموه جميعًا يهين رئيس الشرطة .. أليس كذلك ؟.. لقد سمعتموه .
صاح (مايكل) :
ـ قلت كفى .
لاذ الجميع بالصمت ، وإن شفّت الوجوه المحتقنة عن الثورة التى تغلى فى الأعماق ، فى حين تابع (مايكل) :
ـ إن (برنارد) على حق هذه المرة .. الأمر يحتاج إلى قيادة موحّدة ، وإلى قائد واحد ، يدير العملية كلها ، حتى يمكننا الإيقاع بذلك الشيطان وصاحبته .
قال (ماثيو) فى خشونة :
ـ إننا نرشح (برنارد) .
هتف (جوزيه) :
ـ على جثتى .
استلّ (برنارد) مسدسه ، وهو يقول فى عصبية :
ـ على الرحب والسعة .

أسرعت يد (جوزيه) إلى مسدسه بدوره ، ولكن الحاكم قال فى غضب :
ـ كلا .. لقد تماديتما كثيرًا هذه المرة .
ونهض واقفًا ، وهو يستطرد فى حزم :
ـ لدى اقتراح لحسم هذه المشكلة .
سأله (مايكل) :
ـ هل تقترح شخصًا بالتحديد ، لتولّى القيادة ؟
أجابه الحاكم بابتسامة واثقة :
ـ بالتأكيد .
هتف (برنارد) فى لهفة :
ـ من هو ؟!
أدار عينيه فى وجوههم ، قبل أن يقول فى حزم :
ـ السنيورا (نورما كرينهال) .
حدّق الجميع فى وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف (مايكل) مستنكرًا :
ـ ماذا تقول يا رجل ؟!.. السنيورا ليست هنا ، ولن تقلق نفسها بشأن ما نفعل .
قال الحاكم :
ـ ولكنكم قلتم إنها صاحبة فكرة المنزل الآمن .. أعنى ذلك المكان ، الذى عثرتم فيه على ذلك الشيطان ، ولولا عقلها الجبّار ، لظللنا نبحث عنه بلا طائل .

بدت الفكرة منطقية ومعقولة بالنسبة للجميع، وهم يتبادلون نظرة شفت عن اقتناعهم التام، قبل أن يقول (برنارد) فى عصبية :

- وكيف تقود السنيورا معركة، تبعد عنها مئات الكيلومترات ؟

قال الحاكم على الفور :

- لم تعد هذه مشكلة .

ثم رفع هاتفه، مستطردًا :

- فى ظل وجود هذا .

تطلّع (مايكل) إلى الهاتف، وقال فى حذر :

- لا يمكننى الاتصال بها من هنا .. أنت تعرف الأوامر .

أعاد الحاكم الهاتف إلى مكانه، وهو يقول :

- نعم .. أعرف الأوامر .. وأعرف أيضًا أن الموقف أكثر دقة مما يمكن معه الالتزام بقواعد جامدة جافة .. إننا نحتاج إلى عرض الأمر على السنيورا مباشرة، وهذا يجبّ كل شىء .

ثم أشار إلى الهاتف، مستطردًا فى حزم :

- هيا يا سنيور (مايكل) .. أجر الاتصال اللازم .

تردّد (مايكل) طويلًا، ثم قال :

- لا .. لن يمكننى هذا .

بدا الغضب على وجه الحاكم (خوان)، وهو يقول :

- هيا يا رجل .. لا تكن جامدًا سخيفًا هكذا .. سنوليك ظهورنا جميعًا، وأنت تجرى اتصالك، ولن يعرف أحدنا أى رقم أدرت .. هيا .

وجذب الآخرين جانبًا، وأولوه ظهورهم بالفعل، و (ماثيو) يغمغم محنقًا :

- يا لها من لعبة سخيفة !

قال (برنارد) فى صرامة :

- اصمت .

تطلّع إليهم (مايكل) لحظة فى تردد، التقط سمّاعة الهاتف، وضغط أزراره فى سرعة، وانتظر حتى سمع صوت خادم (سونيا)، على الطرف الآخر، فقال فى خفوت :

- أريد التحدث مع مسز (آرثر) .. أنا (مايكل) .. (أكشن مايكل) .

مضت لحظات من الصمت، قبل أن يسمع (مايكل) صوت (سونيا)، وهى تقول :

- ماذا لديك يا (مايكل) ؟.. هل انتهت العملية ؟

قال فى خفوت :

- ليس بعد يا سيدتى، ولكن الجميع هنا يقترحون أن تتولىَّ بنفسك قيادة العملية كلها؛ لأنك خير من يجيد التعامل معه، و ...

قاطعته فى صرامة عصبية :

- من اقترح هذا بالتحديد ؟

- الحاكم (خوان) .. الواقع أن اقتراحه يبدو معقولًا، و ...

قاطعته مرة أخرى فى حدة :

- من أين تتحدث يا (مايكل) ؟

هوى عليه السؤال كالصاعقة، فاضطرب بشدة، وجفَّ عرقه، وهو يقول :

- من مكتب الحاكم .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكن الجميع يولونى ظهورهم، و ...

قاطعته هذه المرة فى ثورة عارمة :

- أيها الغبى الحقير .. تعلَّم ألا تخالف أوامرى قط، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟

ثم أنهت المحادثة فى عنف، فاضطرب (مايكل) أكثر وأكثر، وقال :

- لقد .. لقد حاولت إنقاذ الموقف فحسب .

أتاه صوت الحاكم، وهو يقول :

- لقد أحسنت الفعل .

بدا صوته مختلفًا، مفعمًا بارتياح عميق، وهو ينطق هذه العبارة، حتى أن الجميع التفتوا إليه فى ذهول، وهتف (ماثيو) :

- ولكن .. ولكنك لست الـ ...

انفتح باب حجرة السكرتيرة المجاورة فى عنف، قبل أن يتم عبارته، وظهرت على عتبته (منى توفيق)، وهى تصوِّب مسدسها إلى الجميع، وإلى جوارها الحاكم، مقيَّد اليدين والقدمين، وهى تقول فى سخرية :

- بالطبع .. إنه ليس ذلك الحاكم المرتشى الأحمق .. إنه رجل آخر .. رجل بحق .

وتفجَّر فى أعماقهم بركان من الذهول .. ومن الغضب ..

* * *

أنهت (سونيا) المحادثة فى حدة، واحتقن وجهها من شدة الغضب، وهى تقول :

- هذا الغبى الأحمق السخيف .. لماذا أحظى دائمًا بضعاف العقول، الذين يفتقرون إلى النظرة الواضحة، ويمكن خداعهم بسهولة ؟!

وأشعلت سيجارتها فى توتر بالغ ، وعقلها يدرس الموقف كله مرات ومرات ، حتى بلغت سيجارتها نهايتها ، فسحقتها فى المنفضة بعنف ، وهى تغمغم :

- اللعنة .. لقد أفسدوا كل شىء .

ونهضت تتطلع إلى حوض سباحتها الأنيق ، من خلف زجاج حجرة المكتب ، قبل أن تقول فى ضيق :

- كونى واقعية يا (سونيا) .. لقد فقدت عنصر المفاجأة ، وخسرت المعركة منذ الضربة الأولى ، عندما فشل هؤلاء الأغبياء فى قتل (أدهم) ، بمزرعته فى (كيواوا) .. كل ما فعلوه هو أن أيقظوا حميته وحماسه ، وضاعفوا من قوته وخطورته ألف مرة .

وتنهدت فى حدة ، قبل أن تستطرد :

- خسرت معركتك يا (سونيا) .

لم تكن تدرى حقًا ، هل تشعر بالسعادة أم بالحزن ، لأن (أدهم) ما زال حيًا حتى الآن ..

ولكنها لم تعد تبحث عن حقيقة مشاعرها ..

وفى هذه المرة بالذات ..

لقد أدركت ، بعد محادثة (مايكل) مباشرة ، ما عجز الجميع عن فهمه وإدراكه ..

أدركت أن (أدهم) قد خدعهم مرة ثانية ..

خدعهم من حيث لا يتوقعون .

ولا يمكن أن يتوقعوا ..

لقد انتحل شخصية الحاكم للمرة الثانية فى يوم واحد ..

ولم يكشف الأغبياء الأمر ..

وللمرة الثانية ، قالت فى مرارة :

- خسرت يا (سونيا) .

ثم عادت إلى مكتبها ، وضغطت أزرار الهاتف ، وقالت :

- (تونى) .. أجب .. أنا (جوان آرثر) .

أتاها صوت (تونى) ، وهو يهتف فى حرارة :

- مساء الخير يا مسز (آرثر) .. (تونى بورسالينو) رهن إشارتك .

قالت فى حزم :

- اسمعنى جيدًا يا (تونى) ، فلدىَّ مهمتان لك .. الأولى هنا ، والثانية هناك .. فى (المكسيك) .

هتف فى دهشة :

- (المكسيك) ؟!.. وماذا أفعل هناك ؟

أجابته فى حزم :

- ستنفذ أمرًا ، لم أعد أثق فى سواك لتنفيذه .. ستحسم معركة .

هتف فى دهشة :

ـ معركة ؟!.. ما نوع المهمة بالضبط ؟.. هل سأقود جيشًا ؟

قالت فى صرامة :

ـ لا داعى للحزلقة .. استمع إلىّ جيدًا ، ونفذ ما أقوله بالحرف الواحد .

وراحت تلقى عليه أوامرها ، وتشرح له طبيعة مهمته هناك ..

فى (كيواوا) ..

* * *

سرى توتر شديد فى المكان ، ممتزجًا بذهول عارم ، وشعور عام بالإحباط والمرارة والحنق ، وتصاعدت رائحة الهزيمة من المكان ، واستنشقتها أنوف الرجال ، فقال (برنارد) فى غضب لا حدود له :

ـ كيف؟!.. كيف فعلتها مرة ثانية ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو ينتزع قناع الحاكم عن وجهه ، قائلًا :

ـ لم أكن قد تخليت بعد عن هذا القناع ، وبدت لى الفكرة طريفة وجديدة ، فمن منكم يتوقع أن أعود لأنتحل شخصية الحاكم مرة ثانية ؟!.. لم يكن من الممكن أن يخطر هذا

ببالكم ؛ بسبب تفكيركم النمطى المملّ ، وفى نفس الوقت ، كنتم ستعودون إلى هنا حتمًا ، لمناقشة هزيمتكم كالمعتاد ، وكان من السهل أن أدفع ذلك الغبى (مايكل) للاتصال بسيدته هذه المرة .

قال (مايكل) فى عصبية تموج بالمرارة :

ـ ولكنك لم تر الرقم .. أنا واثق من هذا .. كنت توليني ظهرك طوال الوقت .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ هل تظن هذا ؟

ثم اتجه إلى المكتب ، وانتزع أسلاك الهاتف ، مستطردًا :

ـ ولكن هذه الأجهزة الحديثة تحمل خاصية طريفة للغاية ، فذاكرتها الإليكترونية تحتفظ بآخر رقم سجّلته ، بحيث يمكنك توصيلها بجهاز رصد بسيط ، والضغط على زر خاص بإعادة الاتصال ، وعندئذ تحصل على الرقم فى وضوح تام .

احتقن وجه (مايكل) فى شدة ، فى حين قال (جوزيه) بحروف مرتجفة :

ـ ولكن .. كيف وصلت إلى مكتب الحاكم ؟

ابتسمت (منى) فى سخرية ، وهى تقول :

ـ الواقع أنكم تحيطون المكان بحراسة لابأس بها ، ولكنكم تهملون منطقة شديدة الأهمية .. السطح .. وعلى الرغم من هذا توجد ثلاث أو أربع بنايات مجاورة ، يعلو سطحها سطح مقر الحاكم ، مما يجعل الهبوط منها إلى هنا أمرًا هينًا ، بالنسبة لرجل مدرّب على هذا .. أو ينتمى إلى جهاز قوى مثلنا .

هتف (جوزيه) فى ارتياع :

ـ يا للهول .. سأفقد منصبى بسبب هذا .

تجاهله (أدهم) تمامًا ، واتجه إلى (مايكل) ، وجذبه من سترته فى قسوة ، وهو يتطلّع إلى عينيه مباشرة ، قائلًا :

ـ والآن أيها الوغد .. ما الاسم الأوّل لمسز (آرثر) هذه ، وأين تقيم ؟

قال (مايكل) فى انهيار :

ـ لايمكننى أن أخبرك .. مستحيل !.. ستقتلنى السنيورا بلا رحمة لو فعلت .

قال (أدهم) فى غلظة صارمة :

ـ وسأقتلك أنا بلا رحمة ، لو لم تفعل .

هتف (مايكل) :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

هوى (أدهم) على فكه بلكمة كالقنبلة ، زلزلت كيانه كله ، وأسقطته أرضًا فى عنف ، فعاد (أدهم) يجبره على النهوض ، وهو يقول :

ـ هيا أيها الوغد .. أدل بكل ما لديك ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، سقط قرص كبير من جيب (مايكل) ، وتدحرج قليلًا ، ثم استقرّ عند قدمى (أدهم) ..

واتسعت عينا (منى) فى ذهول ..

لقد كان القرص يحمل حرف السين بالإنجليزية فى منتصفه ، وحوله رسم مستدير لأفعى تلتهم ذيلها ..

وهتفت (منى) :

ـ (أدهم) .. هل رأيت هذا ؟..

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى القرص الأسود ، شعار منظمة (سناك) الجديدة ، وخفق قلب (منى) فى قوة ، و ...

وفجأة ، انتزع (برنارد) مسدسه ، هاتفًا :

ـ اهجموا يا رجال .

كان قد أحسن استغلال تلك اللحظات ، التى تشتّت فيها انتباه (أدهم) و (منى) ، مع رؤيتهما للشعار ، وانقضّ مع (ماثيو) و (روكو) على (أدهم) و (منى) ، وانضمّ إليهما (جوزيه) ، وهو يصرخ :



هوى (أدهم) على فكه بلكمة كالقنبلة ، زلزلت كيانه كله ، وأسقطته أرضًا فى عنف ..

- النجدة يا رجال .. النجدة .. الحاكم فى خطر .

أطلقت (منى) رصاصات مسدسها على (روكو) و (ماثيو) ، ولكنها فوجئت بهما يواصلان انقضاضتهما فى وحشية ، ويهاجمانها فى شراسة ، و (ماثيو) يضرب مسدسها ، صارخًا :

- ليس هذه المرة أيتها الجميلة .. لقد احتطنا للأمر .

أما (أدهم) ، فقد قفز (برنارد) نحوه فى غضب هادر ، وهو يصرخ :

- لن تربح هذه المرة أيها الشيطان .. لن تخرج من هنا الا على جثتى .

استقبله (أدهم) بلكمة ساحقة فى معدته ، وهو يقول :

- لو أنك تصدّ .

ثم أعقبها بثانية فى فكه ، مضيفًا :

- فسيسعدنى أن أفعل .

وفى نفس اللحظة ، كانت (منى) تلكم (ماثيو) بكل قوتها ، ثم تدور على عقبيها لتركل (بروكو) فى وجهه ، ولكن هذا الأخير تراجع فى حركة سريعة ، واستل مسدسه ، صائحًا :

- هيا .. قاتلى رصاصاتى .

ولكن يد (أدهم) جذبته من عنقه فى قوة ، وهوت اليد الأخرى على أنفه ، و (أدهم) يقول فى صرامة :

ما رأيك بسياسة نزع الأسلحة ؟

واقتحم عشرات من رجال (جوزيه) المكتب فى هذه اللحظة ، وصاح بهم (جوزيه) :

ـ ألقوا القبض عليهما .. لاتسمحوا لهما بالفرار .

تكالب الرجال على (أدهم) و (منى) ، وراح الاثنان يقاتلان بكل قوتهما ، ثم ألقى (أدهم) الهاتف إلى (منى) ، ولكم رجلًا بكل قوته ، فحطم اثنين من أسنانه الأمامية ، وهو يقول :

ـ اهربى يا (منى) .. غادرى هذا الجحيم بأسرع ما يمكنك ، وسأحمى ظهرك ..

قالها بالعربية ، حتى لايفهم أحدهم ما يعنيه ، فصاحت وهى تركل شرطيًا فى معدته :

ـ مستحيل !.. لن أتركك وحدك .

صرخ فيها ، وهو يكسر أنف شرطى ثان :

ـ قلت : غادرى هذا المكان .. إننا فى مهمة رسمية الآن ، وهذا أمر .

أدركت على الفور ما يعنيه ..

لقد رأت بنفسها ذلك القرص الأسود ، الذى سقط من (مايكل) ، وعرفت ماهيته على الفور ، وأدركت ما يعنيه وجوده معه ..

أن (مايكل) يعمل لحساب (سونيا جراهام) .. وينتمى إلى منظمة الجاسوسية الجديدة ..

وهذا يعنى الكثير ..

والكثير جدًا ..

لقد تعثّر (أدهم) بمصادفة مذهلة ، فى نفس المهمة ، التى أتت (منى) لاستدعائه من أجلها ..

وهما وحدهما يعلمان هذا ..

هى و (أدهم) فقط ، يمتلكان الآن هذه المعلومات ، التى تفيد حتمًا جهاز المخابرات العامة المصرية ، وهو يواجه تلك المنظمة الجديدة ..

ولابد من وصول هذه المعلومات إلى (مصر) ..

وبأى ثمن ..

ومرة أخرى صرخ (أدهم) بالعربية ، وهو يقاوم رجال الشرطة فى عنف :

ـ ألم تسمعى أيتها الرائد .. هذا أمر ؟

وهنا استدارت (منى) ، وعبرت حجرة سكرتيرة الحاكم بقفزة قوية ، ثم وثبت من نافذتها إلى سقف المبنى الإدارى ، الذى تطل عليه ..

وحاول (جوزيه) أن يصرخ :

ـ إنها تحمل الهاتف .. أوقف ...

ولكن لكمة قوية من (أدهم) أخرسته ، وأسقطته وسط رجاله ، الذين حاولوا بلوغ حجرة السكرتيرة ، ولكن (أدهم) كان يتصدّى لهم بقوة مائة رجل ، فيلكم هذا ، ويركل ذاك ، ويحطم أنف ثالث ..

وعاد (برنارد) يهاجم (أدهم) فى شراسة ، مع (ماثيو) و (روكو) ..

ولم يكن من الممكن أبدا أن يقاتل (أدهم) كل هؤلاء ..

بل من المستحيل أن يفعل ..

ولكنه قاوم بكل قوته ..

وهوت لكمة على فكه ، وثانية فى معدته ، وثالثة ، ورابعة ، وخامسة ..

ودارت الأرض بـ (أدهم) ..

ثم كانت تلك اللكمة ..

لكمة ضمّ فيها (برنارد) قبضتيه ، وهوى بهما على مؤخرة عنق (أدهم) بكل قوته ..

وسقط البطل ..

هوى فاقد الوعى بين يدى ألد أعدائه ..

وأكثرهم وحشية .

* * *

٤ ـ خيـانة ..

التقى حاجبا مدير المخابرات المصرية ، وهو يتطلّع مع معاونيه الى شاشة المراقبة ، التى تنقل صورة الأمريكيين الأربعة ، وهم يجمعون أجهزة التسجيل والتصنّت ، ويحطمونها عن آخرها ، وقال أحد المعاونين فى توتر :

ـ ماذا يفعلون بالضبط ؟.. إنهم لم يقطعوا كل هذه الكيلومترات ، من (أمريكا) إلى هنا ، ليحطموا الأجهزة ، قبل أن يحسنوا استخدامها .

قال المدير فى غضب :

ـ ذلك القذر (ناصر) ألقى إليهم تحذيرًا ما ، عبر حديثه معهم .. وهم يعلمون الآن أن أمرهم قد انكشف ، ويسعون لتحطيم كل الأدلّة ، قبل أن نظفر بهم .

ثم استطرد بلهجة آمرة صارمة :

ـ لا فائدة أيها السادة .. انتهت العملية ، بالنسبة لهؤلاء الثلاثة .. ألقوا القبض عليهم على الفور .

أسرع رجاله لتنفيذ الأمر ، فى حين غمغم هو فى انفعال :

ـ ومن حسن حظنا أننا قمنا بتسجيل كل ما فعلوه منذ وصولهم ، وبإذن رسمى من النيابة العامة .

ولم تكن المسافة ، التى تفصل مبنى المخابرات ، عن منزل الأمريكيين بعيدة ؛ لذا فقد بلغ الرجال المنزل فى دقائق معدودة ، وفى نفس الوقت الذى كان الأمريكيون الثلاثة يغادرونه فيه ، فاستوقفهم أحد رجال المخابرات ، وقال فى صرامة :

ـ مهلًا أيها السادة .. نريد التحدث معكم بعض الوقت .

قال أحدهم فى توتر :

ـ لاوقت لدينا لهذا .. إننا سننطلق إلى المطار على الفور .

ابتسم الرجل فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ولمَ العجلة ؟.. لقد وصلتم إلى (مصر) اليوم فقط .. لا أيها السادة ، نحن لن نتخلّى عنكم بسهولة .

بدا التوتر على الأمريكيين الثلاثة ، وقال كبيرهم فى عصبية .

ـ اسمع يا هذا .. لا تحاول اعتراض طريقنا ، وإلا اتصلنا بسفيرنا مباشرة .

قال رجل المخابرات فى حزم صارم :

ـ أعتقد أن الاتصال بمحام بارع ، سيكون أكثر فائدة .

ثم شد قامته ، وأضاف :

ـ إننا نلقى القبض على ثلاثتكم ، بتهمة التجسس على جهاز المخابرات المصرى .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى انتزع أحد الرجال الثلاثة مسدسه ، ولكن رجل المخابرات عاجله بلكمة قوية ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها الأمريكى الثانى ، فوق حاجز السلم ، وانطلق يعدو هاربًا ، وخلفه رجل مخابرات آخر ، وهتف الأمريكى الثالث ، وهو يتراجع عائدًا إلى الشقة :

ـ لقد انكشف الأمر .

وأخرج مسدسه ، وأطلق رصاصة واحدة منه ، استقرّت فى الجدار المقابل ، عندما ابتعد رجل مخابرات ثالث عن مسارها فى مرونة ، ثم أطلق رصاص مسدسه على الأمريكى ، فأطاحت رصاصته الأولى بمسدسه ، واخترقت الثانية كتفه ..

أما الأمريكى الهارب ، فقد بلغ بوّابة المبنى ، وهو ينتزع مسدسه ، وقفز فوق مقدّمة إحدى السيارات المتوقفة ، ثم اندفع عبر الشارع ، وخلفه رجل المخابرات ، الذى وثب بدوره فوق المقدمة ، ثم ألقى جسده فى الهواء ، فى نفس اللحظة التى استدار فيها الأمريكى ، ليطلق النار عليه ..



وثبت (منى) من حجرة السكرتيرة إلى سطح المبنى الإدارى، وهى تحتضن الهاتف ..

وكانت مفاجأة للأمريكى، الذى رأى رجل المخابرات يقفز نحوه، فصاح مذعورًا :

ـ تراجع أو ...

ولكن قبضة رجل المخابرات أخرسته، عندما هوت على فكه كالقنبلة، وحطمت أسنانه، ثم تراجعت لتهوى مرة ثانية على معدته، وثالثة على أنفه .

وسقط الأمريكيون الثلاثة فى قبضة رجال المخابرات المصرية ..

وبقى أن يجيب (ناصر) على السؤال الهام ..

لماذا اختار المضى فى طريق الخيانة ؟..

لماذا ؟..

★ ★ ★

وثبت (منى) من حجرة السكرتيرة إلى سطح المبنى الإدارى، وهى تحتضن الهاتف، الذى ألقاه إليها (أدهم)، وانطلقت تعدو عبر السطح، قبل أن تقفز منه إلى سطح ثان، وثالث، ورابع ..

ولم تتوقف عن العدو لحظة واحدة، حتى أدركت أنها أصبحت بعيدة عن مقر الحاكم، وأن أحدًا لم يتبعها .. أو لم يستطع هذا ..

ثم هبطت من سطح المبنى الأخير، فى درجات السلم العادية، حتى بلغت طابقه الثانى، فاختبأت فى ركن من الطابق، وانتزعت عنها الشعر الأشقر المستعار، ثم صففت شعرها الأسود الفاحم من تحته على نحو أنيق بسيط، ووضعت على عينيها عدستين صناعيتين، لهما لون أخضر زرعى فاتح، وارتدت منظارًا طبيًا كبيرًا، وهى تغمغم:

ـ من حسن الحظ أنه من السهل تغيير ملامح النساء، فلست موهوبة فى مجال التنكر، مثل (أدهم صبرى).

لم تكد تأتى على ذكره، حتى اغرورقت عيناها بالدموع، وانتابها شعور عنيف بالغضب من نفسها، ومن اضطرارها للفرار، وتركه وحده يواجه كل رجال (جوزيه)..

كانت تتمنى أن تقف إلى جواره، وأن تقاتل معه حتى آخر رمق..

بل أن تموت بين ذراعيه..

ولكنها كانت تدرك ما سيحدث، لو أنها أصرّت على البقاء، بعد أن أمرها بالرحيل..

كان هذا سيغضبه، ويحنقه، ويفقده القدرة على التركيز، فى قتاله مع خصومه..

ثم أن هذا ما تعلمته، فى صفوف المخابرات..

وهذا ما علّمها هو بالذات إياه..

أن (مصر) أولًا..

لقد انقلب كل شىء رأسًا على عقب، فور رؤيتهما لذلك الشعار، الذى يحمله (مايكل)..

لم تعد مشكلة شخصية.

لم تعد حربًا يخوضها (أدهم)، من أجل كشف مخبأ (سونيا جراهام)، واستعادة ابنه الوحيد الضائع..

لقد أصبحت مهمة رسمية..

مهمة من أجل (مصر)..

وهى تعرف (أدهم) جيدًا، فى مثل هذه الظروف..

لاشىء فى حياته يفوق حبه لدينه ووطنه..

حتى ابنه..

إنه قد يقاتل العالم أجمع، من أجل ابنه..

ولكنه لايتردد لحظة، فى التضحية بذاته نفسها، فى سبيل دينه أو وطنه..

هكذا هو..

وهكذا علّمها..

تركت دمعة تتسال على وجنتيها، وهى تغادر المبنى، وتستقل واحدة من سيارات الأجرة، إلى نفس الفندق، الذى كانت تقيم فيه، وهناك قدمت لموظف الاستقبال جواز سفر آخر، يحمل صورتها فى هيئتها الجديدة..

جواز سفر للطوارئ انتهت معه (ليلى صفوان)، المهاجرة السورية، إلى (البرازيل)، وبدأت معه شخصية جديدة لـ (منى) ..

شخصية الباحثة الأمريكية (لويز جاكوب) ..

والعجيب أن أحدا لم ينتبه إلى أن (لويز) هى نفسها (ليلى) ..

فمن السهل بالفعل أن تتغير هيئة النساء ..

وفى جناحها الجديد بالفندق، دفنت (منى) وجهها بين كفيها، وراحت تبكى فى صمت، وهى تهتف بعبارة واحدة فى أعماقها ..

ترى أين أنت الآن يا (أدهم) ؟!

أين ؟..

* * *

لم يصدّق (برنارد) عينيه، رأى (أدهم صبرى) يسقط أمامه فاقد الوعى، فارتفعت دقات قلبه فى انفعال، وأطلت من عينيه نظرة وحشية مخيفة، وهو يهتف :

ـ أخيرًا .

وكشر (ماثيو) عن أنيابه، قائلا :

ـ لقد أقسمت أن أقتله بنفسى .

واستلّ من حزامه خنجرًا ماضيًا، فصاح به (برنارد) فى صرامة :

ـ حذار أن تفعل .

ثم استلّ خنجره بدوره، مستطردًا :

ـ إنه لى .

وانقضّ على (أدهم) الفاقد الوعى، مضيفًا :

ـ سأذبحه بيدى .

صاح (جوزيه) برجاله :

ـ أوقفوا هذا المجنون .

أحاط رجال الشرطة بـ (برنارد)، وانتزعوا خنجره، فصاح فى غضب :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

وزمجر (روكو)، قائلًا فى شراسة :

ـ هذا الرجل لنا، وسنسلخه حيًا أمام عيونكم .

صاح (جوزيه) فى صرامة :

ـ لن يمسه أحدكم بسوء .

ثم أشار إلى رجاله، مستطردًا :

ـ جرّدوا هؤلاء السادة من أسلحتهم .

ارتفعت فوهات مدافع الرجال نحو (برنارد) و (ماثيو) و (روكو)، فصاح (برنارد) :

- إنها خيانة .

وقال الحاكم فى توتر ، بعد أن حلّ الرجال وثاقه :

- ما الذى تفعله يا (جوزيه) ؟

هتف (مايكل) فى غضب :

- يبدو أنه يعمل لحساب هذا الرجل ، وليس لحسابنا نحن .

أجاب (جوزيه) فى حدة :

- بل أنتم الذين فقدوا عقولهم ، وقدرتهم على حسن التفكير واتخاذ القرار ، فأصابكم جنون وحشى ، فور سقوط الرجل بين أيدينا ، ولم تعد فى رءوسكم سوى فكرة قتله بلا انتظار ، على الرغم من أن هذا قد يحمل لنا كارثة .

سأله الحاكم فى قلق :

- ما الذى تعنيه ؟

التفت إليه (جوزيه) ، وقال فى عصبية :

- ألم تسمع ما قالته زميلته ، وهى تصوّب إلينا مسدسها ؟.. لقد أشارت إلى أنهما ينتميان إلى جهاز ما ، ونحن نجهل طبيعة هذا الجهاز ، أو تلك المنظمة ، التى ينتميان إليها ، ولقد رأيتم جميعًا كيف يقاتلان ، وكم من المواهب يمتلكان ، فهل يمكنكما ، بعد كل هذا ، قتلهما ، دون حتى أن نستجوب ذلك الرجل ، ونعلم إلى أية جهة ينتمى .

تبادلوا نظرات قلقة متوترة ، وغمغم الحاكم :

- ولكننا نعرف السنيور (أميجو) جيدًا .

هتف (جوزيه) :

- وهل نسيت كيف كان لقاؤنا به ؟.. هل نسيت صراعه العنيف مع (كال) ورجاله ، والذى انتهى بتواجده الدائم هنا(*) ؟.. الواقع يا سيّدى أن السنيور (أميجو صاندو) هذا محاط بدائرة ضخمة من الغموض ، لو أن هذا هو اسمه الحقيقى ، فأنا استخرجت له الأوراق ، التى تحمل هذا الاسم ، وأنت تعلم كيف يا سيّدى الحاكم(**) .

ظهر القلق جليًا واضحًا ، فى عينى الحاكم وصوته ، وهو يغمغم :

- أعتقد أن (جوزيه) على حق أيها السادة .

هتف (برنارد) فى غضب :

- ماذا تقول يا رجل ؟.. أنت تعلم ما يفعلـه هذا الشيطان ، ولا يمكننا أن نبقى عليه ، بعد أن وقع فى أيدينا .

قال (جوزيه) فى حزم :

- سنعمل على ألا يفلت من قبضتنا ، حتى ننتهى من استجوابه ، ثم افعل به ما شئت بعد ذلك .

(*) راجع قصة (الأخطبوط) .. المغامرة رقم (٨٢)

(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤)

صاح (برنارد) :

ـ هل تظن هذا يا رجل ؟.. هل تتصور أنك تستطيع السيطرة على رجل كهذا ؟

قال (جوزيه) فى حدة :

ـ نعم .. أتصور هذا .. سأقيده بالأغلال إلى قضبان زنزانته .

عقد (مايكل) حاجبيه ، وقال :

ـ لو أردتم رأيى ، فهى فرصة نادرة .. لقد وقع الرجل بين أيدينا ، فإما أن نقتله الآن وفورًا ، أو نخسر هذا إلى الأبد .

قال له الحاكم فى توتر :

ـ ولكنك لو قتلته يا سنيور (مايكل) ، فستفقد الفرصة الوحيدة لاسترجاع الهاتف ، الذى يحوى الرقم السرى للسنيور (نورما) .

امتقع وجه (مايكل) ، عندما ذكره الحاكم بهذا ، وغمغم :

ـ نعم .. أنت على حق .. لا ينبغى أن تعلم السنيورا شيئًا عما حدث ، حتى نسترجع الهاتف .

قال (برنارد) فى صرامة :

ـ إذن فأنتم تصرّون على تركه حيًا .

قال (مايكل) فى عصبية :

ـ حتى نستجوبه فحسب .

هزّ كتفيه ، وقال فى برود :

ـ فليكن .. هذا شأنكم .

أدهشهم خضوعه المفاجئ لرأيهم ، وتطلعوا إليه فى شك وحذر ، دون أن يدرك أحدهم أنه قد اتخذ فى أعماقه قرارًا خطيرًا ..

قرارًا بإعدام (أدهم صبرى) ..

وقبل منتصف الليل ..

* * *



٥ ـ الأسـير ..

« لماذا فعلت هذا ؟... » .

ارتجفت كل خلية فى جسد (ناصر خيرى)، ومدير المخابرات يلقى عليه هذا السؤال فى غضب صارم، وترقرقت الدموع فى عينيه، وهو يقترب من حافة الانهيار، والمدير يستطرد :

ـ لماذا اخترت الجانب الخاسر ؟.. لست أجد تفسيرًا منطقيًا لحماقتك هذه .. أنت تعلم أننا كشفنا أمرك، وأننا نراقبك مع هؤلاء الرجال، وعلى الرغم من هذا، تلقى إليهم عبارة تحذيرية، ينتبهون منها إلى أننا كشفنا أمرهم، فتفسد عملية كبرى، وتضع نفسك مرة أخرى تحت طائلة القانون !.. لماذا يا (ناصر) ؟.. لماذا ؟

غمغم (ناصر) فى صعوبة :

ـ كنت مضطرًا .

هتف أحد معاونى المدير :

ـ هل تخشاهم إلى هذا الحد ؟.. هل يثيرون خوفك، إلى الحد الذى تخون معه وطنك من أجلهم ؟

ارتجفت الكلمات على شفتيه، وهو يجيب فى خفوت :

ـ لقد فعلت ما فعلت من أجلها .

سأله المدير فى قلق :

ـ من أجل من ؟

بكى فى مرارة، وهو يقول :

ـ من أجل شقيقتى الصغرى .. إنهم يحتفظون بها، وهددونى بقتلها، لو لم أفعل ما فعلت .. صدقونى .. لقد ذهبت إليهم وأنا أنوى التكفير عن خطئى، بإيقاعهم فى شراككم، ولكن أحدهم أشار إلى الأمر، فعاودنى خوفى على تلك المسكينة، ولم يعد أمامى خيار آخر .. كنت مضطرًا .. أقسم لكم .

ثم انهار باكيًا فى حرارة، والدموع تغرق وجهه وتتساقط على صدره، فى حين ران صمت رهيب على المكان، قطعه المدير وهو يقول فى حزم :

ولماذا أخفيت عنا هذا ؟

لم يستطع (ناصر) إجابته، وهو يبكى فى عنف، فتابع المدير :

ـ لو أنك أخبرتنا بالأمر، لكنا وضعنا خطة أخرى، ننقذ بها شقيقتك، ونوقع بالجواسيس فى الوقت ذاته .

ثم تنهد، مستطردًا :

- ولكنك أفسدت كل شيء .. أفسدت أمـر نفسك ، وأمرنا . والله وحده يعلم الآن ، كيف ومتى نعثر على فرصة ثانية ، ودراسة هذه المنظمة الجديدة !

تضاعفت حرارة بكاء (ناصر) ، ولكن المدير تابع فى صرامة :

- لم تعد هناك فائدة من البكاء .. لقد أصبحت خائنًا بصورة رسمية الآن ، بعد أن قدمنا التسجيلات كلها للنيابة العامة .. لقد خسرت كل شيء يا رجل .

انهار (ناصر) تمامًا ، والرجال يحملونه خارج حجرة المدير ؛ لنقله إلى حيث يتم استجوابه رسميًا ، بمعرفة النيابة العامة ، فى حين بدا المدير محنقًا ساخطًا ، وهو يقول :

- هذا الغبى حطَّم نفسه ، وحطَّم خطتنا كلها أيضًا .

غمغم معاونه فى أسى :

- نعم .. ولقد فقدنا طرف الخيط ، الذى كان من الممكن أن يقودنا إلى منظمة (سناك) هذه .

استغرق المدير لحظات فى تفكير عميق ، ثم قال فى حزم :

- ربمَا لم نفقد كل شيء بعد .

ثم رفع عينيه إلى نائبه ، يسأله فى اهتمام :

- ألم تصل أخبار بعد من (كيواوا) ؟

أجابه الرجل على الفور :

- رجلنا هناك يقول أن (أدهم) و (منى) قد أشعلا حربًا فى المدينة ، والجميع يبحثون عنهما ، وعن (البورش) الحمراء ، وهذه آخر معلومات وصلتنا منه ، منذ ساعتين .

قال المدير :

- حاول أن تتصل به مرة ثانية ، فمـع رجل مثل (ن - ا) ، تجرى الأمور عادة بأسرع مما نتصوَّر بكثير .

قال النائب فى حسم :

- سأجرى الاتصال على الفور يا سيِّدى .

وغادر الحجرة فى نشاط ، فسأل أحد المعاونيـن المدير :

- أما زلت تفكِّر فى إرسال (أدهم صبرى) إلى هناك يا سيِّدى .

أجابه المدير :

- أعتقد أننا نمتلك هذا ، حتى هذه اللحظـة ، فلدينـا المعلومات التى أدلى بها (ناصر) فى البداية ، وتفاصيل اللقاء والتعامل مع رجال المنظمة الجديدة ، ونستطيع الحصول على المزيد من المعلومات والتفاصيل ؛ من الأمريكيين الثلاثة ، ومن (ناصر) نفسه ، وسنعتبر كل هذا مجرَّد ركيزة ، أو نقطة بداية ، ينطلق منها (أدهم) ، لمواجهة الموقف كله .

سأله الرجل فى حذر :

- وهل تعتقد ياسيّدى أن (أدهم) وحده يستطيع مواجهة منظمة جديدة ، مثل (سناك) ؟

أجابه المدير ، بعد لحظة من التفكير :

- إننا لم نختبر بعد قوة منظمة (سناك) هذه ، فعلى الرغم مما يمتلكونه من تكنولوجيا متطوّرة ، إلا أن هذا لايكفي وحده ، لخوض حرب المعلومات ، التى نعيشها فى كل لحظة ، فهذا يحتاج إلى الكفاءة البشرية أيضًا ، والعقول المفكّرة ، إلى جانب خبرة عملية طويلة ، ونحن لم نعرف بعد من يدير (سناك) .

ثم اعتدل وأضاف فى حزم :

- وعلى الرغم من هذا ، فلن نرسل (أدهم) وحده لمواجهتها .. صحيح أن (أدهم) يهوى العمل منفردًا ، ولكن الأمر أخطر من أن نترك له حرية التصرّف فيه .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

- سيشاركه فى هذه المهمة (حسام حمدى) .

همّ معاونه بالتعقيب ، ولكنه لم يكد يفتح شفتيه ، حتى اندفع نائب المدير إلى الحجرة ، وهو يقول فى انفعال :

- وصلت معلومات من (كيواوا) ياسيّدى .. معلومات بالغة الأهمية .

سأله المدير بسرعة :

- هل اتصلت برجلنا هناك ؟

أجابه متوترًا :

- بل (منى توفيق) هى التى أرسلت رسالة بالفاكس إلينا ، تحوى معلومات كثيرة ، مكتوبة بشفرة سرية للغاية .. لقد عثرت مع (أدهم) على طرف خيط قوى ، يقود إلى (سناك) .

هتف المدير :

- ماذا ؟.. هات ما لديك يا رجل .. وبسرعة .

ازدرد الرجل لعابه ، ليكتم شيئًا فى انفعاله ، ثم قال :

- (منى) تقول فى رسالتها : إن (سونيا جراهام) وراء منظمة (سناك) الجديدة .

اتسعت عينا المدير فى دهشة ، وحدّق معاونوه فى وجه نائبه ، الذى استطرد :

- ولقد حصل (أدهم) على رقم هاتف فى (أمريكا) ، يعتقد أنه هاتف مقر قيادة المنظمة ، حيث تقيم (سونيا) ، وحيث تدير المنظمة الجديدة .

قال المدير بسرعة واهتمام :

- وما هذا الرقم ؟

أجابه فى حماس :

- كان مختزنا فى ذاكرة هاتف إلكترونى حديث ، ولقد أرسلته إلينا عبر الهاتف ، فاستقبلـه جهـاز رصد المكالمات ، وحدده بمنتهى الدقة .. إنه رقم هاتف فى (نيويورك) .

هبَّ المدير من مقعده ، وهو يقول :

- أرسل الرقم على الفور إلى مكتبنا هناك ، واطلب من الرجال التحرِّى عنه ، وعن صاحبه أو صاحبته ، وعنوانه .. وقل لهم أن يفعلوا هذا بأقصى سرعة .

ثم سأله فى انفعال واضح :

- وماذا عن (أدهم) ؟.. متى يعود إلى هنا ؟

صمت الرجل لحظة ، قبل أن يقول :

- هذا هو أسوأ جزء فى الرسالة ياسيِّدى .. لقد ألقوا القبض على (أدهم صبرى) فى (كيواوا) ، ومنى تقول إنهم قرَّروا ...

لاذ بالصمت مرة ثانية ، قبل أن يتمّ عبارته ، فسأله المدير فى توتر :

- قرَّروا ماذا ؟

أجابه بصوت متوتر :

- قرَّروا إعدامه ياسيِّدى .. وبصورة غير رسمية ، و ...

واكتسى صوته برنة أسى ، وهو يضيف :

- وعاجلة ..

وانتقل شعور الأسى إلى الجميع ..

★ ★ ★

أطلَّ الانفعال واضحًا ، من عينى (ماثيو) و (روكو) ، وهما يتطلعان إلى (برنارد) ، الذى عقد حاجبيه فى قسوة وشراسة ، ثم هتف (ماثيو) :

- أأنت جاد فيما تقول يا (برنارد) ؟

زمجر (برنارد) ، وهو يقول :

- وهل عهدتنى مازحًا أيها الغبى ؟.. لقد اتخذت قرارى ، ولن أتراجع عنه قط .. هذا الرجل مِلْك لى ، ولن يظفر به سواى ، وهذا الغبى (جوزيه) يتصوَّر أنه يستطيع السيطرة عليه ؛ لمجرَّد أنه يقيِّده بالأغلال فى زنزانته .

قال (روكو) فى توتر :

- ولكنهم يحتفظون به الآن فى قسم الشرطة ، تحت حراسة مشدَّدة ، فكيف نصل إليه ، ونتخلَّص منه فى وجودهم ؟

قال (برنارد) فى حدة :

- سأقتحم قسم الشرطة لو اقتضى الأمر ، ولكن الأمر لن يحتاج إلى كل هذا العنف ؛ فالمال يفتح الأبواب المغلقة دائمًا .

سأله (روكو) :
ـ هل تفكر فى رشوة رجال الشرطة ؟
ابتسم (برنارد) فى شراسة ، وهو يقول :
ـ لست من الطراز الذى يكتفى بالتفكير يا رجل .. إننى أضع أفكارى دائمًا موضع التنفيذ على الفور .
غمغم (ماثيو) :
ـ ما الذى يعنيه هذا ؟
أجابه فى حسم :
ـ يعنى أننى رشوت رجال الشرطة بالفعل .. وفى تمام العاشرة مساءً ، سيشتعل حريق صغير فى مخزن المعدات ، خلف قسم الشرطة ، وسيطالب الرجال رئيسهم (جوزيه) بسرعة التدخل ، وفى الوقت نفسه سيتغابى حارس القسم ، ويغادر موقعه للمساهمة فى إطفاء الحريق ، وسيترك حارس الزنزانة بابها مفتوحًا .
فرقع (ماثيو) سبابته وإبهامه ، وهو يقول :
ـ عندئذ يأتى دورنا .
أشار إليه (برنارد) ، وقال فى انفعال :
ـ تمامًا .. وكل ما نحتاج إليه دقيقتان أو ثلاث على الأكثر ، نهرع خلالها إلى زنزانة ذلك الرجل ، ونطلق عليه النار من مسدسات مزوّدة بكاتم للصوت ، ثم نغادر المكان بأقصى سرعة .

وتألقت عيناه ، مستطردًا :
ـ وهكذا نرسله رأسًا إلى جحيم الأغبياء .
وأطلق ضحكة ظافرة شرسة ..

★ ★ ★

منذ اللحظة الأولى ، التى استعاد فيها (أدهم) وعيه ، أدرك على الفور أنه مقيَّد بأغلال معدنية ، تربط يديه أعلى رأسه ، مع سلسلة معدنية ، مثبتة فى منتصف الأغلال بالضبط ، وطرفها الآخر معلّق بحلقة ضخمة فى سقف الزنزانة ، بحيث صار مجبرًا على الوقوف طوال الوقت ..
وأمامه مباشرة ، كان يقف (جوزيه) ، الذى قال فى توتر ، لم يكن له ما يبرِّره ، فى مثل هذا الموقف :
ـ أخيرًا استعدت وعيك يا سنيور (أميجو) .
هتف (أدهم) ، وهو يدير عينيه فيما حوله ببطء :
ـ يا إلهى !.. هل كانت أعمالى سيئة إلى هذا الحد ؟
تطلّع إليه (جوزيه) فى دهشة ، وهو يقول :
ـ ماذا تعنى يا سنيور ؟
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :
ـ ألم أنتقل مباشرة إلى حيث أحقر أبالسة الجحيم ؟
لم يفهم (جوزيه) ما يعنيه (أدهم) فى البداية ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :



منذ اللحظة الأولى ، التى استعاد فيها (أدهم) وعيه ، أدرك على الفور أنه مقيد بأغلال معدنية ..

ـ ليس هذا وقت السخرية يا سنيور .

قال (أدهم) متهتمًا :

ـ وقت ماذا إذن ؟.. تناول العشاء ؟.. فى هذه الحالة أريد دجاجًا محمرًا ، وبعض الحساء ، و ...

قاطعه (جوزيه) فى عصبية :

ـ أنت فى موقف دقيق للغاية يا سنيور (أميجو) .

هتف (أدهم) :

ـ حقًا ؟!.. لماذا يا رجل ؟.. هل ستجبرنى على رؤيتك طوال الوقت ؟

صاح (جوزيه) :

ـ كفى يا سنيور .. استمع إلىّ جيدًا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ليهدئ من ثورة انفعالاته ، قبل أن يستطرد :

ـ حاول أن تفهم وضعك جيدا ، فمن الناحية القانونية ، أنت مدان بأكثر من تهمة ، مثل مهاجمة الحاكم ، واعتقاله دون صفة شرعية ، ومقاومة رجال الشرطة ، وقيادة سيارة بأسرع مما يسمح به القانون ، وإطلاق النار فى المدينة ، و ...

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

ـ وماذا عن الآخرين ؟.. أهم ملائكة الرحمة ؟

تطلّع إليه (جوزيه) لحظة ، ثم قال :

ـ الآخرون يتصرفون على نحو قانونى ، ولم يتقدّم أحد بشكوى ضدهم على الأقل ، أما أنت ، فهناك من يسعى لتدميرك .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ لقد فاجأتنى حقًا أيها الوغد .

تجاهل (جوزيه) العبارة ، وتظاهر بأنه لم يسمعها ، وهو يتابع :

ـ وعندما سقطت فاقد الوعى ، فى مكتب الحاكم ، كاد هؤلاء الرجال يفتكون بك ، لولا أن منعتهم أنا بالقوة .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول متهكمًا :

ـ يالقلبك الحنون وأحاسيسك المرهفة .

عقد (جوزيه) حاجبيه ، وقال :

ـ لا شأن للقلب والأحاسيس بما فعلت يا سنيور ، ولكن ..

صمت بضع لحظات ، وهو ينظر إلى (أدهم) ، الذى قال فى لهجة شبه ساخرة :

ـ ولكنها حاستك التجارية .

رفع (جوزيه) حاجبيه فى دهشة ، ثم عاد يخفضهما ، وقد انتقلت الدهشة من ملامحه إلى صوته ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وسار بضع خطوات فى الزنزانة ، قبل أن يتابع :

ـ لو أنك لا تعلم ، فالسنيورا (نورما) منحتنى مائة ألف دولار ، مقابل التغاضى عما يفعله رجالها فى (كيواوا) ، ووعدنى رجلها سنيور (مايكل) بمائة ألف أخرى ، عندما يتم القضاء عليك .

والتفت يتطلّع إليه بعينين ثابتتين ، مستطردًا :

ـ فما رأيك أنت يا سنيور (أميجو) ؟

قال (أدهم) فى لامبالاة :

ـ رأيى أنها فرصة عمرك يا (جوزيه) .

ابتسم (جوزيه) ، وهو يقول :

ـ خطأ يا سنيور ، فالسنيورا (نورما) ليست الثرية الوحيدة هنا .. أنت أيضًا رجل ثرى يا سنيور (أميجو) ، ويمكنك أن تشترى حياتك بمبلغ أكبر .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ نصف مليون دولار مثلًا .

برقت عينا (جوزيه) فى جشع ، وهو يقول :

ـ مثـلًا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، انتفض لها جسد (جوزيه) فى قوة ، وهو يقول :

ـ ماذا هناك يا سنيور ؟
أجابه (أدهم) :
ـ إنك تضحكنى بالفعل يا (جوزيه)، حتى أننى أتساءل : كيف لم تمتهن العمل كمهرج، فى سيرك (المكسيك) القومى .
هتف (جوزيه) فى غضب :
ـ هل تسخر منى يا سنيور ؟
أجابه (أدهم) :
ـ بالطبع يا عزيزى (جوزيه)، فلن أدفع نصف مليون دولار لغبى مثلك .
قال (جوزيه) فى عصبية :
ـ الأمر قابل للتفاوض .. كل شىء قابل للتفاوض .. سأقبل أربعمائة وخمسين ألفا فحسب .
قال (أدهم) ساخرًا :
ـ ولا سنت واحد يا (جوزيه) .
هتف (جوزيه) :
ـ لايمكنك هذا .. إنك ستدفع ثمن حياتك أنت .. ألا تساوى حياتك نصف مليون دولار ؟.. أو حتى أربعمائة ألف ؟!
قال (أدهم) فى هدوء :

ـ حياتى ملك لخالقى يا رجل، ولن أبتاعها من بشرى، مهما كانت الظروف ..
بدا الغضب الشديد على وجه (جوزيه)، وهو يقول :
ـ اسمع يا سنيور .. أنت تضحى بنفسك، فى سبيل ...
قبل أن يتمّ عبارته، اندفع أحد رجاله بغتة إلى الزنزانة، وهو يهتف :
ـ النجدة أيها الرئيس .. المخزن يشتعل .. اسرع ..
تردد (جوزيه) لحظة، ثم لوّح بسبابته فى وجه (أدهم)، وقال فى عصبية :
ـ سأعود إليك .
هتف الرجل مرة أخرى :
ـ أسرع أيها الرئيس .. صندوق الذخيرة هناك سينفجر .
صاح (جوزيه) فى حارس الزنزانة، وهو يعدو مغادرًا المكان :
ـ لا تجعلا أحدا يقترب منه .. هل تفهمان ؟
راقبه الرجلان فى اهتمام شديد وهو يبتعد، حتى أن القلق بدأ يتسلل إلى نفس (أدهم)، وخاصة عندما تعمّد أحدهما ترك الباب مفتوحا، ثم تبادل الاثنان نظرة سريعة، قبل أن يعيدا مسدسيهما إلى غمديهما، ويتحرّكان مبتعدين، فهتف ساخرًا :

- إلى أين ؟.. ألم يأمركما رئيسكما بـ ...

ولم يتم عبارته .. .

لقد رأى فجأة (برنارد) و (ماثيو) و (روكو) يندفعون عبر ممر الزنازين ، ثم يقفزون داخل زنزانته ، وكل منهم يصوِّب إليه مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت ، وقال (برنارد) فى شماتة ، وعيناه تبرقان فى وحشية :

- أخيرًا أيها الشيطان .

كان الموقف شديد الدقة والخطورة ، إلا أن (أدهم) لم يشأ أن يموت ، وفى جسده ذرة واحدة من الخوف ، فقال فى سخرية لاذعة :

- أهلًا أيها الأوغاد .. من المؤسف له أن تكون وجوهكم القبيحة هى آخر ما يراه المرء .

اقترب منه الثلاثة ، وقال (برنارد) فى عصبية :

- ومن المؤسف له أيضًا أن يموت رجل مثلك كما يموت جرذ حقير فى المصيدة .

وأشار إلى رجاله ، مستطردًا :

- لقد حانت لحظة تنفيذ حكم الإعدام يا رجال .

كانت الأغلال المعدنية متينة وقوية ، وتغلّ يدى (أدهم) تمامًا ، عندما جذب كل منهم إبرة مسدسه ، وتابع (برنارد) فى شماتة :

- الوداع .. الوداع أيها الشيطان .

ولم يعد هناك مفرّ من الموت .





٦ ـ رقم هاتف ..

قطع الطبيب ممر المستشفى فى خطوات سريعة، واندفع داخل حجرة العناية المركّزة، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا حدث ؟

هتفت الممرّضة في انهيار :

ـ لم أعد أحتمل .. أخرجوا هذا الرجل من هنا ، أو اقبلوا استقالتى من القسم .

التفت الطبيب إلى (قدرى) ، وقال فى حدة :

ـ ما الذى فعلته هذه المرة ؟

صاح به (قدرى) :

ـ أريد أن أخرج من هنا .. لقد سئمت هذه الحجرة، وهذه الممرضة ، وقياس الضغط والنبض والحرارة كل خمس دقائق .. أخرجونى من هنا .

هتف به الطبيب :

ـ فليكن .. نحن أيضًا سئمنا صراخك وعنـادك، ورفضك الانصياع لأوامر المستشفى ونصائح الأطباء .. ثم أنك قوى البنية ، وصراخك خير دليل على هذا ؛ لذا فسيتم نقلك إلى حجرة عادية .

سأله (قدرى) فى اهتمام :

ـ وهل أتناول الطعام المعتاد ؟

ـ صرخ الطبيب فى وجهه :

ـ تناول ما يحلو لك ، واذهب إلى الجحيم لو أردت .

تراجع (قدرى) فى دهشة ، ثم هتف فى غضب :

ـ لماذا تصرخ فى وجهى هكذا ؟

أتاه الجواب من مدخل الحجرة، على لسان مدير المخابرات ، الذى قال فى هدوء :

ـ هذا أفضل من أن يطلق النار عليك يا (قدرى) .

التفت (قدرى) إلى المدير ، وهتف فى حرارة :

ـ أهلًا بك يا سيدى المدير .. أين (أدهم) ؟.. هل أخبرتموه بما أصابنى ؟.. ولماذا لم تعد (منى) تحضر لزيارتى ؟.. ما الذى يحدث بالضبط ؟

رمقه المدير بنظرة صارمة ، ثم التفت إلى الطبيب والممرّضة ، قائلًا :

ـ هل يمكنكما تركنا وحدنا بعض الوقت ؟

هتفت الممرّضة :

ـ هذا يسعدنى .

وعلى الرغم من كل ما تشير إليه قواعد اللياقة ، إلا أنها سبقت الطبيب إلى الخارج ، فابتسم المدير ، وهو يقول لـ (قدرى) :

ـ من الواضح أنك تسبب لهما الكثير من القلق .
هزّ (قدرى) كتفيه المكتظتين ، وقال :
ـ أنا أكره القواعد الجامدة .
ثم عاد يسأل فى لهفة :
ـ والآن كيف حال (أدهم) و (منى) ؟.. وأين هما الآن ؟
أجابه المدير فى صوت حازم :
ـ يبدو أنهما فى ورطة ضخمة يا (قدرى) .
هتف (قدرى) فى انزعاج :
ـ كيف ؟
روى له المدير كل شىء منذ البداية ، وهو يستمع إليه فى اهتمام بالغ ، حتى انتهى عند إلقاء القبض على (أدهم) ، وقال :
ـ لم يكن من المفروض بالطبع أن أخبرك بكل هذا ، ولكنك تعلم ثقتى الشديدة بك ، واعتزازنا جميعًا برأيك وخبرتك .
ظلّ (قدرى) صامتًا بعض الوقت ، وملامحه تحمل الحزن والأسى ، ثم قال فجأة :
ـ سيّدى .. هل يمكنك أن ترسل لى بعض الأوراق من مكتبى ؟

سأله المدير :
ـ أية أوراق ؟
أجابه بسرعة :
ـ صورة من كل أوراق (أدهـــم) الرسميـــة فى (كيوتوا) .
تطلّع إليه المدير فى دهشة ، وقال :
ـ وبم تفيدك هذه الأوراق ؟
قال (قدرى) فى تفكير :
ـ لدى فكرة حمقاء ، أردت التأكد من ..
قاطعه فجأة دخول أحد معاونى مدير المخابرات إلى الحجرة ، وهو يقول :
ـ معذرة لمقاطعتكما يا سيّدى ، ولكن وصلتنا أخبار شديدة الأهمية ، من رجال مكتبنا فى (نيويورك) ، بشأن رقم الهاتف ، ورأيت أنه من الضرورى أن أطلعك عليها على الفور .
التفت إليه المدير فى اهتمام ، وهو يقول :
ـ حسن .. ماذا لديك ؟
ناوله الرجل ورقة صغيرة ، وهو يقول :
ـ نتيجة مدهشة يا سيّدى .



تطلّعت إلى الصور فى اهتمام ، وابتسمت مع رؤيتها لشعار المنظمة ، الذى يعلو القلعة ..

تطلع المدير إلى الورقة ، وقرأ سطورها بسرعة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وقد بدا له أن ما تحمله الورقة مدهش بالفعل ..

مدهش للغاية ..

★ ★ ★

ابتسم المهندس المسئول عن بناء قلعة (سناك) فى تلك الجزيرة ، فى المحيط الأطلنطى ، وهو يقدّم عددًا من الصور لـ (سونيا جراهام) ، قائلاً :

ـ لقد انتهينا من العمل تقريبًا يا سيّدتى ، وقبل الموعد المحدود ، ولم يعد أمامنا سوى مدّ أسلاك المولّد الكهربى ، وتكون قلعتك جاهزة للسكنى .

تطلّعت إلى الصور فى اهتمام ، وابتسمت مع رؤيتها لشعار المنظمة ، الذى يعلو القلعة ، ثم سألت المهندس :

ـ وماذا عن هذا الطريق ؟.. هل تم اختباره ؟

أجاب فى ثقة حاسمة :

ـ بالطبع ياسيّدتى .. المنطقة المحيطة بالقلعة كلها مغطاة بمادة أشبه بالزجاج ، ملساء زلقة ، ومقاومة للخدش والكسر ، ما عدا طريقًا واحدًا ، يُغلق مدخله بباب سرى .. لقد تكلّف هذا وحده ..

قاطعته فى حزم :

- دعنا من مناقشة التكاليف الآن .
وألقت إليه شيئًا من شيكاتها ، وهى تستطرد :
- لو نظرت إلى الرقم المدوّن لديك ، ستدرك على الفور أن المال لا يعنينى كثيرًا .
رفع الرجل حاجبيه فى دهشة ، وهو يقرأ الشيك ، وأسرع يدسّه فى جيب سترته ، خشية أن تتراجع فى منحتها ، وهو يقول :
- أشكرك يا سيّدتى .. أشكرك كثيرًا .
وأسرع يغادر مكتبها فى سعادة ، فتابعته هى ببصرها ، حتى غادر القصر كله ، ثم ابتسمت فى سخرية ، وقالت :
- انفق نقودك بسرعة أيها المهندس ، فالعمر أقصر من أن يحتمل إنفاقها كلها ..
أشعلت سيجارتها ، وراحت تراجع بعض أوراقها ، عندما دقّت خادمتها باب الحجرة فى حذر ، وغمغمت :
- سيّدتى .. هناك رجل يصرّ على مقابلتك .. إنه ذلك المطرب العجوز ، الذى ..
قاطعتها (سونيا) فى حزم :
- أدخليه على الفور .
لم تمض لحظات ، حتى كان الرجل يدلف إلى مكتبها ، بشعره الأشيب الأنيق ، وحلته الفاخرة ، وهو يهتف :

- واعزيزتى (جوان) .. كم أصابنى القلق بشأنك .
ابتسمت فى غرور ، وهو ينحنى ليطبع قبلة حارة على أناملها ، وسألته :
- لماذا يا عزيزى (فرانكى) ؟
اعتدل ، هاتفًا فى حرارة :
- لقد حاولت الاتصال بك ، طوال فترة ما بعد الظهر ، ولكن هاتفك لم يستجب قط ، وعندما حاولت التحرّى عن الأمر ، فى شركة الهاتف ، أخبرنى هؤلاء الأغبياء أنه لا وجود لهذا الرقم فى سجلاتهم .. بل لم يكن له وجود من قبل ، ولقد تشاجرت معهم ، وهددتهم بتقديم شكوى إلى السيناتور (بيل) ؛ فلقد اتصلت بك فى هذا الرقم مرات ومرات .
قالت فى هدوء ، وهى تناوله بطاقة صغيرة أنيقة :
- هذا هو رقم هاتفى الجديد يا (فرانكى) ، أما الرقم السابق ، فيمكنك أن تلقى به من ذاكرتك تمامًا .
تناول البطاقة ، وهو يقول فى دهشة :
- ولكن لماذا ؟
هزّت كتفيها ، قائلة :
- إننى أميل إلى التغيير دائمًا .

رفع حاجبيه ، هاتفًا :
ـ هكذا عشاق الفن دائمًا .
مالت نحوه ، ومنحته واحدة من أكثر ابتساماتها جاذبية وإغراء ، وهى تقول :
ـ (فرانكى) .. هل تغنى من أجلى ؟
هتف فى حماس :
ـ بالتأكيد .. سأسمعك أحدث أغنياتى ، و ...
قاطعته فى سرعة :
ـ كلا .. أريد أغنية قديمة .. واحدة من أشهر أغنياتك .
التقط كفها فى راحتيه ، وهو يقول :
ـ اذكرى الاسم فقط يا عزيزتى و (فرانكى) رهن إشارتك .
شردت ببصرها لحظات ، قبل أن تقول :
ـ غرباء فى الليل .
اعتدل مبتسمًا ، ولوّح بيده فى الهواء فى أناقة ، وقال :
ـ إنها أفضل أغنياتى بالفعل .
غادرا حجرة مكتبها إلى حوض السباحة ، فاسترخت هى فوق مقعد طويل وثير ، فى حين انطلق هو يغنى فى حرارة ..

وأسبلت (سونيا) جفنيها ، وتركت العنان لأفكارها ، التى تسبح هناك ..
فى (كيواوا) ..
حيث (أدهم صبرى) ..
وحيث أرسلت (تونى بورسالينو) ، للقيام بمهمة واحدة محدودة ..
مهمة ستحسم هذه المرحلة من حياتها ..
ستحسمها تمامًا ..

* * *

ارتفع حاجبا (مايكل) فى دهشة ، وهو يحدق فى وجه (تونى بورسالينو) ، الذى وصل من (نيويورك) ، وزاره فى جناحه بالفندق مباشرة ، وعلى الرغم من ابتسامة (تونى) الوسيمة ، وملامحه الهادئة الطفولية ، إلا أن (مايكل) ـ كرجل عصابات سابق ـ استشعر شيئًا من القلق ، فهتف من أعماقه :
ـ مستر (بورسالينو) !.. يا لها من مفاجأة !.. لم لم تبلغنى بقدومك ، حتى أعد العدة لاستقبالك .
أغلق (تونى) الباب خلفه ، وهو يبتسم قائلاً :
ـ لا عليك يا عزيزى (مايكل) .. إنها زيارة عاجلة فحسب .

دعاه (مايكل) إلى الجلوس، دون أن يفارقه ذلك الشعور الداخلى بالقلق، والذى جعله يتحسّس موضع مسدسه فى حذر، وهو يسأل :

ـ وما طبيعة مهمتك يا مستر (بورسالينو) ؟

لوّح (تونى) بيده فى هدوء، وهو يقول :

ـ مجرّد تفقد للأحــوال يا عزيــزى (مايــكل) .. مسز (آرثر) تريد معرفة الموقف على طبيعته .

ارتبك (مايكل)، وهو يقول :

ـ لقد ألقينا القبض على ذلك الرجل، ولكن (جوزيه) رئيس الشرطة منعنا من قتله، وأصرّ على اعتقاله .

غمغم (تونى) فى برود :

ـ حقًا ؟!

تابع (مايكل) فى سرعة :

ولكننا لم نستسلم لرأيه .. إننا ننتظر فقط حتى ينتهى (جوزيه) من استجوابه، بشأن رقم الهاتف، ثم ...

قاطعه (تونى)، وهو يرفع حاجبيه، قائلًا :

ـ رقم الهاتف ؟.. إنك لم تذكر شيئًا عن أرقام هواتف .

ازدرد (مايكل) لعابه فى صعوبة، وقال :

ـ آه .. إنه أمر بسيطِ يا مستر (بورسالينو) .. لقد خدعنا ذلك الرجل، وحصل على هاتف الحاكم، وهو يحوى فى ذاكرته الآلية رقم مسز (آرثر) .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكننا سنستعيده بالطبع .

بدت له ابتسامة (تونى) مقلقة للغاية، وهو يقول :

ـ لا أهمية لهذا .

لم يفهم (مايكل) ما يعنيه هذا ..

لقد حذّرته (سونيا) ألف مرة من الاتصال بها، دون أن يتأكد من أن الهاتف الذى يتحدث منه شخصى، وغير مراقب ..

فماذا حدث إذن ؟..

كيف يقول (تونى) بعد كل هذا : إن استعادة الهاتف لا أهمية له ؟!..

ما الذى يعنيه هذا القول ؟

ولم يتركه (تونى) طويلًا لقلقه، وإنما قال فى هدوء :

ـ لقد أبدلنا رقم الهاتف، وبرشوة جيدة، محته الشركة من ذاكرة أجهزة الكمبيوتر تمامًا، بحيث صار وكأنه لم يوجد قط .

تنفس (مايكل) الصعداء، وهو يقول :

ـ عظيم .. لاداعىَ للقلق إذن .

ثم التقط ورقة وقلمًا، وهو يستطرد :

ـ اعطنى الرقم الجديد، و ...

قاطعه (تونى) فى برود :

ـ لا أهمية لهذا أيضا .

رفع عينيه فى دهشة إلى (تونى) ، وارتجف جسده كله فى عنف ، عندما وقع بصره على المسدس الكبير ، الذى يصوّبه إليه (تونى) ، دون أن يفقد ابتسامته الهادئة الوسيمة ، فهتف فى انزعاج .

ـ ما هذا بالضبط يا مستر (بورسالينو) ؟

هزّ (تونى) كتفيه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ كما ترى يا عزيزى (مايكل) .. لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء ، فى الآونة الأخيرة ، ولو أضفنا ملفك غير النظيف إلى هذه الأخطاء ، لوجدنا ببساطة أنك أصبحت شخصا غير مرغوب فيه .

شحب وجه (مايكل) ، وهو يحدّق فى فوهة المسدّس المصوّبة إليه ، والتى أضيف إليها كاتم للصوت، وقال بصوت مضطرب :

ـ ولكننى لم أتعمّد حدوث هذه الأخطاء يا مستر (بورسالينو) ، ولكن ذلك الرجل ..

ـ ذلك الرجل يعرف الآن أنك الخيط الوحيد ، الذى يمكن أن يقود إلى مسز (آرثر) .. وهو يعرف من أنت .. أو أن هذا ليس بالأمر العسير بالنسبة إليه ، ولن يتراجع عن

الإيقاع بك ، ومحاولة كشف السر ، أو انتزاعه من بين شفتيك بالقوة .. باختصار .. لقد أصبحت نقطة ضعف يا رجل .

هتف (مايكل) :

ـ ولكن ذلك الرجل فى أيدينا الآن ، ويمكننا أن نقتله على الفور ، وندفن السر معه إلى الأبد .

هزّ (تونى) رأسه ، وهو يقول :

ـ هذا لو أنه لم يرسل ما لديه من معلومات إلى قيادته بالفعل .

انهار (مايكل) ، وهو يقول :

ـ أرجوك يا مستر (تونى) .. إننى ..

ثم سحب مسدسه فجأة، صارخا :

ـ لا أريد أن أموت .

ولكن (تونى) ضغط زناد مسدسه ، قبل أن يصوّب إليه (مايكل) مسدسه ، اخترقت رصاصته جبهة (مايكل) ، فى منتصفها تماما ، فجحظت عينا هذا الأخير فى شدة ، ثم هوى على مقعده جثة هامدة ، وسقط مسدسه عند قاعدة المقعد ..

وفى هدوء عجيب ، أعاد (تونى) مسدسه إلى جيبه ، وهو يقول :



ثم أحاط بهما عنق (روكو) ، وجذبه إليه فى عنف ، وأدار قدميه بغتة ، فدار جسد (روكو) فى الهواء ..

ـ معذرة يا عزيزى (مايكل) .. صدقنى .. لم أكن أرغب فى قتلك ، ولكن ماذا أفعل ؟ إنها الأوامر .

وغادر الفندق كله فى بساطة ، ليبدأ رحلة العودة إلى (نيويورك) ..

★ ★ ★

كان موقف (أدهم) دقيقًا للغاية ، فهو مقيّد المعصمين بأغلال معدنية ، داخل زنزانة صغيرة ، وأمامه ثلاثة رجال ، يصوبون إليه مسدساتهم ، ويهمّون بقتله ، و ...

ولكن (أدهم) لايستسلم أبدًا ..

ولا يشعر باليأس ..

وبسرعة مذهلة ، درس (أدهم) الموقف كله ، ووضع خطة مدهشة ..

ثم تحرّك ..

وفجأة ، وقبل أن يطلق الرجال رصاصة واحدة ، ترك (أدهم) جسده كله يتعلق بالأغلال المثبتة بالسقف ، ورفع قدميه ، ودفعهما للتقاطع فى حركة شديدة المرونة ، ثم أحاط بهما عنق (روكو) ، وجذبه إليه فى عنف ، وأدار قدميه بغتة ، فدار جسد (روكو) فى الهواء ، قبل أن يرتطم بـ (ماثيو) فى قوة ، ويسقط الاثنان أرضًا ..

كل هذا حدث فى نصف ثانية على الأكثر ، وفى النصف الثانى منها ، كانت قدم (أدهم) اليمنى تركل المسدس من يد (برنارد) ، ثم تقفز قدمه اليسرى لتركله فى وجهه بقوة رهيبة ، سقط إثرها (برنارد) فاقد الوعى ، إلى جوار (روكو) ، فى حين هبّ (ماثيو) واقفا ، وتراجع فى سرعة ، ليحمى نفسه من قدم (أدهم) ، وهو يهتف فى غضب :

- اللعنة !.. إنك تستحق القتل بالفعل .

وصوّب مسدسه إلى (أدهم) ..

وتردّد صوت الرصاصة المكتومة ، وهى تعبر كاتم الصوت ..

ولكنها لم تخترق جسد (أدهم) ..

هذا لأنها - وبكل بساطة - لم تنطلق من فوهة مسدس (ماثيو) ، وإنما من فوهة مسدس آخر ، مزوّد أيضا بكاتم للصوت .

مسدس (منى) ..

وارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، عندما رأى (منى) تندفع إلى زنزانته ، فى نفس اللحظة التى هوى فيها (ماثيو) جثة هامدة ، بعد أن اخترقت رصاصتها رأسه ، وسمعها تقول فى سعادة :

- أعتقد أننى وصلت فى الوقت المناسب أيها الزميل العزيز .. أليس كذلك ؟

قالتها وأطلقت النار على السلسلة ، التى تربط أغلاله بالسقف ، فخفض يديه ، قائلا :

- رؤيتك تسعدنى دائمًا يا زميلتى الحبيبة ، حتى ولو ارتبطت بنسف جماجم الآخرين .

قالت فى سرعة :

- كان من الضرورى أن أفعل هذا .

ثم كشفت صدر (ماثيو) ، مستطردة :

- إنهم يرتدون دروعًا مضادة للرصاصات .. لقد لاحظت هذا ، عندما أطلقت النار عليهم ، فى مكتب الحاكم ، ولم يسقط أحدهم .

لوّح بيده ، قائلا :

- فليكن .. دعينا نغادر هذا المكان أوّلا ، ثم تشرحين لى ، كيف نجحت فى الوصول إلى هنا ، فى الوقت المناسب .

راحت تعدو إلى جواره ، متجهين إلى باب القسم ، وهى تقول :

- الأمر أبسط مما تتصور .. إننى أراقب القسم من ساعتين كاملتين، ثم رأيت أحد رجال الشرطة يعدو محذرًا من حريق فى مخزن المهمات، وغادر (جوزيه) القسم جريًا، وانهمك مع رجاله فى إطفاء الحريق، ثم رأيت حارس القسم يغادر موقعه، ويتبعه حارسان آخران، وبدا لى أنه هناك أمرًا يدعو إلى الريبة، فليس من المنطقى أن يترك رجال الشرطة القسم كله، دون حارس واحد، خاصة وهم يحتفظون داخله بسجين بالغ الأهمية .. ولم تمض لحظة واحدة، حتى رأيت هؤلاء الأوغاد الثلاثة يدلفون إلى القسم، ففهمت الموقف كله، وهرعت بكل قوتى إلى هنا .

ضحك قائلًا :

- يا له من أمر طريف !.. إذن فقد سعى هؤلاء الأوغاد لإخلاء القسم، حتى يمكنهم قتلى فى هدوء، فكان هذا سببًا فى فرارى منهم .

كانا قد بلغا مدخل القسم فى هذه اللحظة، وهى تقول مبتسمة :

- إنها تصاريف القدر، فلم يحن مو ...

لم تتم عبارتها، وحاجباها يرتفعان فى شدة، فأطلقت شهقة دهشة، وهى تحدّق فى وجه (جوزيه)، الذى فوجئ بهما أمامه، وهو يعود مع رجاله إلى القسم ..

وفى ذعر، هتف (جوزيه) :

- السجين يفرّ يا رجال .

وفى لحظة واحدة، انتزع (جوزيه) مسدسه، ورفع كل رجاله فوهات أسلحتهم نحو هدف واحد ..

(أدهم) و (منى) .

★ ★ ★



٧ ـ الضـربة ..

تطلع مدير المخابرات فى إعجاب، إلى تلك الورقة التى صنعها (قدرى)، وهو يرقد على فراشه بالمستشفى، وابتسم مغمغمًا :

ـ عبقرى هو (قدرى) هذا، على الرغم من عناده .

ثم ناول الورقة إلى مساعده، مستطردًا :

ـ هل رأيت عملًا أفضل من هذا ؟

هز الرجل رأسه فى دهشة، وهو يقول :

ـ مستحيل !.. إنه عبقرى بحق .

ثم سأل فى اهتمام :

ـ ولكن هل تفيد (أدهم) و (منى) ؟

صمت المدير لحظات مفكرًا، ثم قال :

ـ لا أحد يدرى، ولكنها الورقة الوحيدة لدينا، ولن نخسر شيئًا باستخدامها .

غمغم المساعد :

ـ بالتأكيد .

سمع الاثنان طرقات على باب حجرة المدير، فقال هذا الأخير :

ـ ادخل يا فتى .

دلف إلى الحجرة أحد رجال المخابرات، وهو يقول :

ـ (ناصر) يا سيدى المدير .. (ناصر خيرى) .

سأله المدير :

ـ ماذا به ؟

لوّح الرجل بكفه، قائلًا :

ـ لقد انتحر فى سجنه .

رفع المدير حاجبيه فى دهشة، فتابع الرجل :

ـ قطع شريان معصمه الأيمن، وظلّ ينزف حتى مات .

عقد المدير حاجبيه، وهو يقول فى حنق :

ـ يا للسخافة !

ثم عاد إلى تفكيره طويلًا، قبل أن يسأل الرجل :

ـ وهل تمّ إعلان الخبر ؟

هزّ رأسه نفيًا، وقال :

ـ ليس بعد .

قال المدير فى حماس :

ـ عظيم .. سأتصل بالنائب العام إذن، وأسأله إصدار أمر بعدم نشر خبر انتحار (ناصر) .

قالها والتقط سمّاعة الهاتف على الفور، وتحدّث إلى النائب العام، الذى لم يجد ضررًا فى إصدار مثل هذا الأمر،

مادام الموضوع يتعلق بالمخابرات العامة ، وأمن البلاد ، فأنهى المدير المحادثة فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ الآن لن يعرف مخلوق واحد ما حدث .

سأله مساعده :

ـ هل تفكّر فى استغلال هذا يا سيّدى ؟

هزّ المدير كتفيه ، وقال :

ـ ولم لا ؟!

ثم شرد ببصره لحظات ، قبل أن يستطرد :

ـ لو عاد (أدهم) بسرعة مناسبة .

سأله مساعده :

ـ بمناسبة الحديث عن (أدهم صبرى) .. هل نرسل هذه الورقة ؟

أجابه بسرعة :

ـ على الفور .

وعاد يشرد ببصره ، مضيفًا :

ـ إنها ورقتنا الأخيرة ، وربما تكون آخر فرصة لنجاة (أدهم) ، و ... أو لبقائه على قيد الحياة .

* * *

كان ظهور (جوزيه) ورجاله مفاجئًا بحق ، فلم يتوقّع (أدهم) و (منى) أن ينتهوا من إطفاء النيران بهذه السرعة ، خاصة وأن رجال الشرطة المرتشين يعلمون بوجود (برنارد) وزميليه فى الداخل ، ومن الطبيعى أن يحاولوا تعطيل رئيسهم ..

ولكنهم ـ لسبب ما ـ لم يفعلوا ..

وعادوا جميعًا ..

وفى لحظة واحدة ، كان الجميع يسحبون أسلحتهم ، فى وجهى (أدهم) و (منى) ..

وكادت (منى) تطلق النار ، على الرغم من ثقتها فى عدم جدوى الرصاصات الخمس فى مسدسها الصغير ، أمام كل هؤلاء الرجال المسلحين ..

ولكن (أدهم) تحرّك أوّلًا ..

وكالمعتاد ، استوعب عقله الموقف كله فى جزء من الثانية ، ودرسه فى الجزء الثانى منها ، ثم حوّل عقله خطته إلى حركات مادية ، فى الجزء الأخير منها ..

وقبل أن يتمّ (جوزيه) سحب سلاحه ، كان (أدهم) يثب نحوه ، ويلقى يديه المكبلتين بالأغلال حول عنقه ، ثم يجذبهما فى عنف ، لتحيط الأغلال المعدنية بعنـق (جوزيه) ، الذى شهق من فرط المفاجأة ، ولكن (أدهم)

جذبه إليه ، وهو يقول فى صرامة ، لاتخلو من رنة ساخرة :

- ترى هل تساوى ما يكفى عند رجالك ، لمنعهم من إطلاق النار ؟

توتر الرجال فى شدة ، فى نفس اللحظة التى فهمت فيها (منى) الموقف واستوعبته ، فألصقت فوهة مسدسها بصدغ (جوزيه) ، قائلة :

- هيا .. قرروا بسرعة أيها الأوغاد ، قبل أن تتوتر أعصابى ، فتجذب سبابتى الزناد ، وترون ما لا يروق لكم .

صرخ (جوزيه) على الفور ، وهو يكاد يختنق :

- ألم تسمعوا أيها الحمقى ؟.. ألقوا أسلحتكم على الفور .

والعجيب أن أحدا منهم لم يتردد أو يقاوم ، وكأنهم كانوا ينتظرون هذا الأمر منه بفارغ الصبر ..

لقد استعادت أذهانهم فى لحظة كل ما فعله (أدهم) ، فى الأيام القليلة السابقة ، وارتجفت الدماء فى عروقهم ، فلم يعد بمقدورهم أن يقاوموا ..

وهتف (جوزيه) فى ألم :

- أرجوك يا سنيور (أميجو) .. إننى أختنق .

قال (أدهم) فى سخرية :

- سيسعدنى أن يحدث هذا أيها الوغد ، ولكننى أكره أن أفعله بيدى .. والآن ، مُر رجالك بإحضار (البورش) الحمراء على الفور .

هتف (جوزيه) ، وهو يلوّح بيده :

- أحضروا (البورش) اللعينة .. أسرعوا .

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كانت (البورش) تقف أمام القسم ، وقد امتلأ خزانها بالوقود ، فابتسم (أدهم) ، وهو يقول لـ (منى) :

- لقد عادت سيارتك يا عزيزتى .. هى .. اجلسى خلف عجلة القيادة ، ودعينا نغادر هذا المكان السخيف ، قبل أن تزكم رائحة هؤلاء الحمقى أنوفنا .

أسرعت إلى السيارة ، وأدارت محرّكها ، فجذب (أدهم) (جوزيه) إلى السيارة ، وهو يقول :

- معذرة أيها الأوغاد ، سنصطحب رئيسكم فى رحلة قصيرة ، ثم ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ظهر (روكو) عند مدخل القسم فجأة ، وهو يصرخ فى غضب جنونى ، ويصوّب مسدسه إلى (أدهم) :

- إنك لن تذهب إلى أى مكان ، إلا على جثتى .

وأطلق رصاصات مسدسه نحو (أدهم) ..

ولم تخطئ الرصاصات طريقها ..

★ ★ ★

كان (روكو) من الرجال الذين يجيدون التصويب ، ويحسنون إصابة الهدف ، ولم يكن من الممكن ـ عمليًا ـ أن يخطئ إصابة (أدهم) ، من مسافة لاتتجاوز الأمتار الخمسة ..

ولقد انطلقت رصاصاته فى مسارها بمنتهى الدقة ، ولكن ...

ودعونا نتوقف لحظة ، عند كلمة (لكن) هذه ..

لقد رأى (أدهم) (روكو) أمامه ، يصوب إليه مسدسه ، وأدرك أن الرجل ـ كمحترف ـ لن يخطئ إصابته ، من هذه المسافة القصيرة ..

وكذلك رأته (منى) ..

وفى آن واحد تقريبًا ، أدارت (منى) مسدسها ، وأطلقت الرصاصات نحو (روكو) فى حين جذب (أدهم) (جوزيه) إليه فى سرعة ..

وأصابت كل الرصاصات أجسادًا حية ..

رصاصات (منى) استقرت فى جسد (روكو) .

ورصاصات (روكو) أصابت (جوزيه) ، فى رأسه وعنقه وصدره ..

وجحظت عينا (جوزيه) ، وكأنما لم يصدق ما أصابه ، فى حين دفعه (أدهم) بعيدًا ، ووثب داخل (البورش) الحمراء ، وهو يهتف :

ـ انطلقى يا عزيزتى .. لقد تعقدت الأمور مرة أخرى ..

وقبل أن يتم عبارته ، كانت (منى) قد انطلقت بالفعل ..

واختطف رجال الشرطة أسلحتهم ، وهم يصرخون فى غضب ، لمصرع رئيسهم أمام أعينهم ، وراحوا يطلقون النار على السيارة ، ثم قفزوا إلى سياراتهم ، وانطلقوا خلف (البورش) ، التى فاقتهم سرعة ، و (أدهم) يقول داخلها :

ـ يبدو أن هذه الأمور لن تنتهى أبدًا .

قالت فى توتر :

ـ مازلنا نتفوق عليهم حتى الآن . ولقد استعدنا (البورش) .

اعتدل وهو يسألها :

ـ هل تحملين واحدًا من مشابك الشعر ؟

انتزعت مشبكًا بسيطًا من شعرها ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد ..

وناولته إياه ، فالتقطه بخفة ، وراح يعالج الأغلال فى هدوء ، وهو يقول :

- لقد أطلقوا علينا العديد من الرصاصات ، ولكن (البورش) تبدو سليمة .

قالت وهى تنحرف بها إلى طريق فرعى :

- هذه واحدة من مميزاتها ، فهى ليست (بورش) عادية ، وإنما تم صنعها بمواصفات خاصة ، فهى مصفحة وأقوى من المعتاد .

ثم انعقد حاجباها ، وهى تستطرد :

- ولكن ...

بترت عبارتها قبل أن تكملها ، فسألها (أدهم) فى اهتمام ، بعد أن تخلص من أغلاله ، وألقاها جانبًا :

- ولكن ماذا ؟

بدا عليها التردد لحظة ، ثم قالت :

- هناك خلل ما فى دوائرها الكهربية ، فالأضواء لاتعمل بشكل جيد ، والـ...

قاطعها فجأة بلهجة آمرة :

- توقفى .

ضغطت فرامل السيارة بحركة آلية ، فتوقفت السيارة فى عنف ، ودارت حول نفسها فى شدة ، حتى لقد خُيِّل لـ(منى) أنها ستنقلب رأسًا على عقب ، لولا صغر حجمها ومتانة بنيانها ، وهتفت هى فى توتر :

- ماذا حدث ؟

لم يجب (أدهم) ، وإنما وثب من السيارة ، ودار خلفها ، وفتح غطاء المحرك الخلفى ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ..

كان ما توقعه صحيحًا ..

هناك قنبلة فى المحرك ..

قنبلة وضعها رجال الشرطة ، تحسبًا لمحاولة استرجاع السيارة ..

وكانت قنبلة زمنية ، يبدأ عملها فور إدارة المحرك ..

ولم يكن أمامها لتنفجر ، سوى خمس ثوان ..

خمس ثوان فحسب ..

ولم يضع (أدهم) ثانية واحدة ، فى هذه الثوان الخمس ..

لقد تحرك بسرعة ، وانتقل إلى حيث تجلس (منى) ، وانتزعها من خلف عجلة القيادة ، وهو يقول فى توتر :

- أسرعى .

هتفت مذعورة :

- ماذا وجدت بالضبط ؟

لم يكن هناك مجال للحديث والنقاش والتفسيرات ، لذا فقد جذبها (أدهم) خلفه ، وهو يعدو بكل قوته ، مبتعدًا عن (البورش) ، و ...



ودوى الانفجار ..
دوى قبل أن يبتعدا عن السيارة بمسافة كافية ..

ودوى الانفجار ..

دوى قبل أن يبتعدا عن السيارة بمسافة كافية ..

وشعر (أدهم) بجسده يطير فى الهواء ، ويندفع إلى الأمام فى عنف ، وانغرست واحدة من الشظايا فى كتفه اليسرى ، وأخرى فى ساقه ، ولكنه لم يبال بكل هذا ..

كان كل ما فكر فيه ، فى هذه اللحظة ، هو حماية (منى) ..

وكعادته ، حوّل أفكاره على الفور إلى أعمال ، فأحاط جسدها بذراعيه ، وحماها به من الانفجار وشظاياه ، ثم دار به فى سرعة ، ليتلقى عنها صدمة السقوط ، والارتطام بالجدار المقابل ..

وعلى الرغم من هذا ، شعرت (منى) بعنف الضربة ، وصرخت :

ـ لا .. (أدهم) .

رأته يسقط أمامها ، ثم ينهض بسرعة ، وهو يسألها فى جزع :

ـ أأنت بخير ؟

لم تدر لحظتها ماذا تقول ..

أو ماذا تفعل !..

لقد تلقى عنها كل الآلام والضربات والصدمـــات والعذاب، ثم ها هو ذا ينهض ليسألها : أهى بخير ..

خُيِّل إليها أنها أعظم عبارة حب سمعتها ، فى حياتها كلها ..

بل فى الكون كله ..

وفى حنان مشفق حزين ، تحسست كتفه ، التى تنزف منها الدماء ، وهى تقول فى هلع :

ـ ربَّاه !.. أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل يا (أدهم) .

تماسك فى قوة ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ لا وقت لهذا يا عزيزتى .. لن تمضى لحظات ، حتى يكتظَّ المكان برجال الشرطة الذين يطاردوننا .. المهم الآن هو أن نختفى بسرعة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت أبواق سيارات الشرطة ، التى تقترب فى سرعة ، فجذبها هو إلى مبنى قريب ، وهو يقول :

ـ أرأيت ؟!

وانطلق يعدو إلى جوارها ، وكأنما لم يصب منذ لحظات ، وصعدا فى درجات سلم المبنى إلى سطحه ، وأشار هو إلى السطح المقابل ، قائلًا :

ـ هيَّا .

قالت فى لوعة :

ـ هل سيمكنك عبور هذه المسافة ؟.. إنك مصاب ، و ..

قاطعها فى صرامة .

ـ قلت : لا وقت لهذا .

قطعت هى المترين ، اللذين يفصلان السطح عن جاره ، والتفتت تتطلَّع إليه فى قلق ، ولكنه وثب فى مرونة ، وهبط على السطح الآخر ، وحمل وجهه انطباع ألم لحظة ، قبل أن يعتدل ، ويقول :

ـ لن نتوقَّف هنا .. إنهم سينتشرون للبحث عنا حتمًا .

واصلا انتقالهما من سطح إلى آخر ، والدماء تنتشر فوق سترته وسرواله ، حتى ابتعدا عن المكان لمسافة كافية ، فالتفتت (منى) إليه ، وقالت :

ـ الآن نضمِّد جراحك .

ابتسم فى إرهاق ، وهو يقول :

ـ كنت سأقترح هذا .

وانتزع سترته ، ومزَّقها إلى شرائح طويلة ، راحت هى تضمِّد بها جراحه فى عناية وإحكام ، وهو يراقبها فى صمت ، قبل أن يبتسم مغمغمًا :

ـ كم يؤسفنى أن فقدنا (البورش) .. كنت قد اعتدتها .

قالت فى حزم :

ـ المهم أننا لم نفقدك أنت .

رفع حاجبيه ، قائلًا :

ـ عجبًا !.. كنت أظنك مغرمة بها .

قالت بسرعة :

ـ ليس أكثر من ...

ثم بترت عبارتها بغتة ، وتضرّج وجهها بحمرة الخجل ..

كانت ستقول «ليس أكثر من غرامى بك» ..

ولكن خجلها منعها من الاستطراد ..

وفهم هو ..

فهم تمامًا ما تعنيه ..

وكانت لحظة عاطفية صامتة بينهما ، فى زمان ومكان وظروف غير مناسبة ..

لحظة تثبت أن الحب هو الأقوى ، فى كل الأحوال ..

صحيح أنهما لم يتبادلا خلالها حرفًا واحدًا ..

أو حتى نظرة مباشرة ..

ولكن قلبيهما تبادلا حديثًا طويلًا ..

من القلب إلى القلب ..

وفجأة ، ضغط (أدهم) مشاعره كلها ، وأزاحها جانبًا ، وهو يقول :

ـ أريد (مايكل) هذا .

انتفضت ، العبارة تنتزعها أيضًا من مشاعرها ، واعتدلت قائلة :

ـ وكيف نظفر به ؟

أجاب وهو يشير إلى سطح بعيد :

ـ إنه لن يغادر جناحه بالفندق ، حتى تنتهى المعركة على الأرجح ، فأنت تعرفين هذا الطراز من الأوغاد .. إنه يقبع فى حجرته ، ويكتفى بإصدار الأوامر إلى رجاله فى عجرفة ، دون أن يواجه المخاطر الحقيقية ، ولو لمرة واحدة .

ثم شرد ببصره ، مستطردًا :

ـ ولكنه الوحيد الذى يعرف أين ابنى .

غمغمت :

ـ ولكننا حصلنا على رقم الهاتف .

قال فى حزم :

ـ رقم الهاتف لن يحمل من المعلومات والتفاصيل ، ما يحمله وغد مثل (مايكل) هذا .

ونهض واقفًا ، وهو يستطرد :

- وسننتزع كل كلمة من حلقه .

ثم واصل قفزه ، من سطح إلى آخر ، وتبعته هى فى صمت ، حتى بلغا سطح الفندق ، فابتسم (أدهم) فى إرهاق ، وهو يقول :

- لست أدرى لماذا يهتم الجميع بحراسة المداخل ، ويتجاهلون الأسطح تمامًا ، على الرغم من أنها مكان مثالى ، للتسلل إلى أى مكان .

أجابته ، وهى تتطلّع إليه فى قلق :

- ربمًا لأن معظم الناس ينشغلون بالتطلّع إلى موضع أقدامهم فحسب .

ضحك قائلًا :

- عبارة فلسفية أنيقة يا عزيزتى .. إنها تذكرنى بـ ..

قاطعه فجأة صوت خشن ، اقترن بفوهة مسدس التصقت بظهره ، وهو يقول بالأسبانية :

- لست أدرى بأية لغة تتحدثان ، ولكن وجودكما هنا يعنى أنكما لستما صديقين .

انعقد حاجبا (منى) فى شدة ، فى حين قال (أدهم) فى بساطة ، وكأنما لم يباغته الأمر :

- بالتأكيد .

ثم مال جانبًا فى حركة سريعة ، ودار على ساقه السليمة ، وأمسك بمعصم الرجل ، ليبعد فوهة المسدس عنه ، وهو يستطرد :

- فمن يرى وجهك الكريه ، يتحوّل فورًا إلى ...

وهوى على فكه بلكمة ساحقة ، مضيفًا :

- إلى عدو .

دارت عينا الرجل فى محجريهما ، وترنّح لحظة ، ثم سقط فاقد الوعى ، وهتفت (منى) فى قلق :

- أأنت بخير يا (أدهم) ؟

كانت تعلم أنه فقد الكثير من دمائه ، ويبذل جهدًا يفوق البشر ، وأن جسده ، مهما بلغ من قوته ، فلن يحتمل هذه الضغوط حتى النهاية ..

وكانت على حق إلى حد كبير ..

لقد بدا (أدهم) وكأنه يبذل جهدًا خرافيًا ، بعد أن أسقط حارس السطح ، وهو يبتسم فى تهالك ، ويغمغم دون أن يفقد روحه الساخرة :

- اطمئنى يا عزيزتى ، ولكننى أدين بالاعتذار لهؤلاء الأوغاد ؛ فقد وضعوا رجلًا لحراسة السطح .. يا للروعة !

اقتربت منه ، وقالت فى قلق :

- (أدهم) .. لِمَ لا نحصل على قسط من الراحة أولًا ، ثم ..

قاطعها فى حزم :
ـ لا وقت لهذا يا عزيزتى .. إننا سنباغت (مايكل) هذا على الفور ، أو نخسر كل شىء .. هل تدركين أكثر الأماكن أمنًا لاختفائنا الآن ، هو حجرة ذلك الحقير ؟
قالت متوترة :
ـ ولكن الوصول إليها يستلزم أن ..
قاطعها مرة ثانية :
ـ أن نهبط من السطح إليه ، عبر الجدار الخارجى .. وماذا فى هذا يا عزيزتى .
وابتسم مستطردًا :
ـ إننى لم أفقد وعيى بعد .
قالها وتعلق بحاجز السطح ، وبدأ عملية الهبوط مباشرة ، فتبعته هى فى قلق شديد ، وهى تلقى نظرة عليه ، كل حين وآخر ..
كانت تعلم أنه عنيد ، يمتلئ بالحزم والإصرار ، وأنه لن يعترف أبدًا بالضعف والتعب ..
ولا بالهزيمة ..
إنه يبذل طاقة هائلة ، ليتعلق بإفريز النوافذ ، ويتأرجح لحظة ، ثم يثب منه إلى إفريز طابق أسفله ..
وهكذا دواليك ..

وفى أكثر من مرة ، كاد قلبها يتوقف ، عندما تنزلق أصابعه لحظة ، ولكنه لايلبث أن يتعلق مرة أخرى ، ويواصل هبوطه فى إصرار ..
وأخيرًا ، وقبل أن يتوقف قلبها من شدة القلق ، بلغا نافذة جناح (مايكل) ، فهتفت هى فى خفوت :
ـ حمدًا لله .
بدا (أدهم) شاحب الوجه ، شديد الإرهاق ، إلا أنه لم يتخلَّ عن ابتسامته المتألقة ، وهو يغمغم :
ـ لقد وصلنا يا عزيزتى .. يمكنك الحصول على قسط من الراحة .
قالها وراح يعالج رتاج النافذة فى سرعة ومهارة ، وكأنما هى المصابة ، وهو السليم المعافى ، ولم يلبث أن فتح النافذة ، وأفسح الطريق لـ (منى) ، هامسًا :
ـ أنت أولًا يا عزيزتى .
وثبت داخل الجناح المظلم فى خفة ، وتبعها (أدهم) إلى الداخل ، وهو يهمس :
ـ عجبًا !.. يبدو أن نظريتى لم تكن صحيحة يا عزيزتى ، فالجناح مظلم ، و ...
بتر عبارته بغتة ، فسألته هامسة فى توتر :
ـ هل حدث أمر ما ؟

قال مشيرًا إلى نقطة تسلل إليها ضوء القمر ..
ـ انظرى هناك .
مدت عنقها إلى الأمام، وحاولت أن تخترق حجب الظلام ببصرها، ثم انتبهت إلى تلك البقعة، التى يشير إليها، ولاحظت شيئًا أشبه بجسد متكوم، فهتفت فى خفوت :
ـ ما هذا بالضبط ؟
غمغم (أدهم)، وهو يتجه إلى تلك البقعة :
ـ بل قولى : من هذا ؟
انحنى يفحص الجسد المسجى أمامه، ثم تمتم فى غضب :
ـ إنه (مايكل) .
سألته متوترة :
ـ وهل هو .. ؟
لم تتم عبارتها، ولكنه قال فى حنق :
ـ نعم .. لقد لقى مصرعه، برصاصة مباشرة فى رأسه .
هتفت :
ـ ومن فعل هذا ؟

هزّ رأسه، قائلًا :
ـ لست أدرى من فعل هذا، ولكننى أعلم من أمر بفعله .
غمغمت فى انفعال :
ـ (سونيا جراهام) .
أومأ برأسه إيجابًا، وهمّ بقول شىء ما، عندما أضىء المكان فجأة، وانطلقت رصاصة مكتومة، لتطيح بمسدس (منى)، ثم ارتفع صوت عصبى ظافر شامت، يقول :
ـ كنت واثقًا من أنكما ستأتيان إلى هنا مباشرةً .
وعندما التفتا إلى مصدر الصوت، رأيا آخر شخص يتوقعان رؤيته الآن ..
(برنارد) ..
قائد القتلة .

★ ★ ★

٨ ـ المواجهة الأخيرة ..

بدا توتر شديد على وجه الحاكم (خوان) ، وهو يستمع إلى أحد رجال الشرطة ، الذى شرح له ما حدث فى انفعال ، وأضاف :

ـ ولقد عثرنا على (البورش) بعد انفجارها ياسيِّدى ، ولكننا لم نعثر داخلها على أدنى أثر لجثتى الرجل والفتاة ، وهناك آثار دماء تشير إلى إصابتهما ، ولقد حاصرنا المنطقة كلها ، ونقوم بتمشيطها للبحث عنهما .

زفر الحاكم فى عصبية ، وهو يقول

ـ الأمور تتعقَّد على نحو مخيف ، وأخشى ما أخشاه أن تتطوَّر الأحداث ، وتتطاير أخبارها ، ويحدث ما لا تحمد عقباه .

قال الشرطى :

ـ اطمئن يا سيِّدى الحاكم .. إننا نسيطر على الموقف تمامًا ، لن تمضى ساعة واحدة ، حتى نكون أوقعنا بالرجل والفتاة .

قال الحاكم :

ـ هذا ما أرجوه .

قال الشرطى فى اهتمام :

ـ ولكننا نحتاج إلى أمر مباشر منك يا سيِّدى .

انتفض الحاكم فى عنف ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟!

كرَّر الشرطى :

ـ أمر مباشر منك يا سيِّدى الحاكم ، فلقد لقى الرئيس (جوزيه) مصرعه ، ولم يعد هناك رئيس مباشر لنا .

قال الحاكم فى عصبية :

ـ وماذا عن (الورادو) ؟

قال الشرطى :

ـ إنه خارج المدينة منذ أسبوعين .

عقد الحاكم حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا مستحيل .. لا يمكننى أن أمنحك أمرًا مباشرًا .

قال الشرطى فى دهشة :

ـ لماذا يا سيِّدى ؟

هتف فى حدة :

ـ لأننى لن أتورَّط فى أمر كهذا .

ردّد الشرطى مبهوتًا :

ـ لن تتورّط ؟!.. ولكنك قطعت شوطًا طويلًا بالفعل يا سيّدى الحاكم ، ولم يعد من الـ....

قاطعه (خوان) فى حدة :

ـ ليس بصفة رسمية .

حدّق الشرطى فى وجهه بدهشة ، وكأنه لم يفهم ما يعنيه هذا ، فتابع الحاكم فى عصبية :

ـ على الرغم من كل ما حدث ، وما سيحدث ، فلن تجد توقيعى على ورقة واحدة ..

هل تفهم ؟!.. إننى رسميًا خارج هذه اللعبة تمامًا .

بدا الغضب على وجه الشرطى ، وهو يقول :

ـ الأمر هكذا إذن .

قال الحاكم فى توتر :

ـ نعم .. الأمر هكذا .

عقد الشرطى ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة يصبح جهاز الشرطة كله بلا قائد مسئول .

أشار إليه الحاكم ، قائلًا فى توتر :

ـ فليكن .. إننى أعينك رئيسًا للشرطة ، بحكم السلطة المخوّلة لى .

هتف الرجل فى دهشة :

ـ أنا ؟!

أجابه الحاكم :

ـ نعم .. سأصدر فورًا أمرًا رسميًا بهذا ، وبعدها تكون أنت المسئول عن كل ما يحدث هنا .

تألقت عينا الرجل ، وهو يقول :

ـ وأنا أوافق يا سيّدى الحاكم .

أخرج الحاكم من مكتبه ورقة ، دوّن عليها القرار فى سرعة ، ثم ذيّله بتوقيعه ، وناوله إلى الشرطى ، قائلًا :

ـ ها هو ذا القرار .

اختطفه الشرطى ، وأدى التحية العسكرية . وهو يقول فى حرارة :

ـ لن تندم يا سيّدى الحاكم .. أؤكّد لك ..

وأسرع يغادر المكان ، قبل أن يتراجع الحاكم فى رأيه ، ولكنه لم يكد يفتح الباب ، حتى وجد أمامه مدير مكتب الحاكم ، وهو يقول :

ـ معذرة .. هناك ضيف من العاصمة ، يرغب فى مقابلتك على الفور يا سيّدى الحاكم .

شحب وجه الحاكم ، وهو يقول :

ـ ضيف من العاصمة ؟!

انخفض صوت الرجل ، وهو يقول :

ـ ضيف رسمى .

سرت قشعريرة باردة فى جسد الحاكم ، وهمَّ يقول شىء ما ، ولكن الرجل القادم من العاصمة دفع الباب بغتة ، ودلف إلى الحجرة ، وهو يقول :

ـ (خوليو موراليس) .. من مكتب رئيس الجمهورية .

ارتجف الحاكم ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بك يا ستيور (خوليو) .. أى أمر هذا ، الذى دفعك إلى القدوم إلى (كيواوا) ، فى الوقت المتأخِّر ؟

ارتفع حاجبا (خوليو) ، وهو يقول :

ـ أى أمر ؟!.. إنها رسالتك بالطبع يا سيِّدى الحاكم .. الرسالة التى أرسلتها إلينا بالفاكس .

قالها وهو يناوله ورقة كبيرة ، لم يكد الحاكم يلقى نظرة عليها ، حتى ارتفع حاجباه فى شدة ، وتفجَّر فى أعماقه ذهول ..

ذهول هائل ..

★ ★ ★

لم يشعر (أدهم صبرى) بالإرهاق والتهالك ، مثلما شعر بهما فى هذه اللحظة ، وهو يقف فى مواجهة (برنارد) ، آخر رجال (سونيا جراهام) فى المنطقة ..

ولكنه لم يبد كذلك أبدًا ..

فباستثناء وجهه الشاحب ، لم يكن هناك ما يشير إلى حقيقة أمره ، فى وقفته الصامدة الصلبة ، ونظرات عينيه القوية الحازمة ، ولاصوته الواثق الساخر ، وهو يقول :

ـ يا لها من مصادفة سخيفة !.. أنت أيضًا قرَّرت الفرار إلى هنا أيها الوغد .

أجابه (برنارد) فى شراسة :

ـ بل هو ذكائى أيها الرجل ، الذى جعلنى أدرك ، فور استعادتى لوعيى ، أنكما ستتجهان حتمًا إلى جناح (مايكل) ، فى محاولة لانتزاع كل ما لديه من معلومات ، قبل أن تبادرا بالفرار .

مطت (منى) شفتيها فى ازدراء ، فى حين صفق (أدهم) بكفيه فى سخرية ، وهو يقول بابتسامة مستفزة :

ـ يا للعبقرية !.. أهنئك يا رجل ، فلقد نبت الذكاء فى رأسك الغبى فجأة .. ويا لها من معجزة !

بدا الغضب فى عينى (برنارد) ، وهو يقول :

ـ اسخر ما شئت يا رجل ، فلقد أقسمت على أن يكون هذا اللقاء بيننا هو الأخير ، مهما كانت الظروف .

رفع (أدهم) حاجبيه فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ربَّاه !.. هل سترحل بهذه السرعة ؟

قال (برنارد) فى حدة :

ـ لست أنا من سيرحل يا رجل ، فأنا الذى يمسك السلاح هذه المرة .

قلب (أدهم) كفيه ، وقال :

ـ ياله من موقف مملّ .. هل تعلم لماذا فشلت فى التخلّص منى طويلًا أيها الوغد ؟

قال (برنارد) ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

ـ لماذا أيها العبقرى ؟

أجابه (أدهم) بابتسامة ساخرة :

ـ لأنك تضيع الوقت فى كل مرة ، فى أحاديث فلسفية ، وتصرفات مسرحية ، حتى أنك تنسى بعض الأمور الهامة .

سأله (برنارد) ، وهو يحاول استعارة أسلوبه الساخر :

ـ مثل ماذا يا فليسوف الدهر ؟

لوّح (أدهم) بكفه ، وهو يبتسم ابتسامة غامضة ، فى حين هتفت (منى) :

ـ مثل وجودى هنا .

انتبه (برنارد) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أن (أدهم) كان يتحرّك فى بطء ، وهو يتحدّث إليه ، بحيث جذب انتباهه كله بعيدًا عن (منى) ، وجعله ينسى وجودها تقريبًا ، فاستدار إليها فى سرعة ، ولكن بعد فوات الأوان ، فقد قذفته بمنفضة السجائر ، مستطردة :

ـ وهذا خطأ لايغتفر .

أصابت المنفضة مسدس (برنارد) ، وانتزعته منه فى عنف ، فى نفس اللحظة التى انقضّ فيها (أدهم) عليه ، وكال له لكمة عنيفة ، وهو يقول :

ـ ولا يمكن التغاضى عنه .

سقط (برنارد) أرضًا ، وتطلّع إليهما فى غضب رهيب ، ثم هبّ واقفًا على قدميه ، وقال فى وحشية وجنون :

ـ قلت لكما إننى أقسمت على إنهاء الأمر تمامًا هذه المرة ، حتى لو ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، كشف صدره بحركة حادة ، وارتفع حاجبا (منى) فى دهشة ، عندما رأت حزام القنابل اليدوية ، الذى يحيط به ، ورأته ينتزع فتيل إحدى القنابل مضيفًا فى جنون :

ـ حتى ولو انتهت حياتنا معًا .

تراجعت (منى) فى ذعر ، هاتفة :

ـ أيها الأحمق المجنون .

ولكن (برنارد) كان قد أصيب بجنون حقيقى ، جعله يفضّل قتل نفسه مع (أدهم صبرى) ، على الحياة مهزومًا مدحورًا ..



أصابت المنفضة مسدس (برنارد) ، وانتزعته منه فى عنف ، فى نفس اللحظة التى انقضَّ فيها (أدهم) عليه ، وكال له لكمة عنيفة ..

وانطلقت من حلق (برنارد) ضحكة جنونية رهيبة ، وهو يقف فى مواجهة النافذة المفتوحة ، وضوء القمر يتألق من خلفه ، ويمنحه مظهرًا وحشيًا مخيفًا ..

وفجأة ، اندفع (أدهم) نحو (برنارد) بكل قوته ، فصرخ هذا الأخير :

ـ لا فائدة أيها الشيطان .. لا فائدة .

ولكن (أدهم) وثب نحوه ، بكل ما تبقّى فى جسده من قوة ، ودفعه بقدميه فى صدره ، فاندفع (برنارد) إلى الخلف فى عنف ، وارتطم بإطار النافذة ، ثم هوى منها ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لن تنجو وحدك .. لن ...

ودوى الانفجار ...

انفجر حزام القنابل المحيط بصدره ، وهو يهوى فى الفراغ ، فمزّق جسده تمزيقًا ، وحطّم العشرات من النوافذ فى المنطقة ، وأيقظ (كيواوا) كلها ..

أما (أدهم) ، فقد انهار جسده تمامًا ...

لقد استنفد بهذه المواجهة الأخيرة كل قواه ..

وسقط ..

وفى هلع ، اندفعت (منى) نحوه ، هاتفة :

ـ (أدهم) .. (أدهم) .. أأنت بخير ؟

فتح عينيه فى صعوبة ، وقال :

ـ أسرعى يا عزيزتى .. اهربى من هنا .. لن تمضى لحظات ، حتى يحيط جيش من رجال الشرطة بالفندق ، إثر الانفجار ، ولا يعود هناك مجال للفرار .

انفجرت الدموع من عينيها ، وهى تهتف :

ـ لا يا (أدهم) .. لن أتركك وحدك هذه المرة .. لقد أرسلت كل المعلومات إلى (القاهرة) ، ولن يعاودنى الندم ثانية أبدًا .. سنحيا معًا ، أو نموت معًا ، أو ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، ارتفع صوت عبر مكبّر صوت ، يقول :

ـ مستر (أميجو) .. استمع إلىّ جيدًا .. أنا (خوليو موراليس) .. مدير أمن مكتب رئيس الجمهورية المكسيكية .. أنا هنا من أجلك .. لقد عرفنا كل شىء ، ولن توجّه إليك تهمة واحدة .. أنت فى أمان تام .. هل تفهم ؟.. أنت فى رعاية (م.ع.م) وكل مشاكلك انتهت .

رفعت (منى) حاجبيها فى دهشة ، وقالت :

ـ (م.ع.م) .. من المكن أن ...

قاطعها (أدهم) مبتسمًا :

ـ نعم يا عزيزتى .. يبدو أن المشاكل قد انتهت بالفعل .. أهنئك .

وترك عقله يهوى فى غيبوبة عميقة ..

★ ★ ★

لم تستغرق غيبوبة (أدهم) وقتًا طويلًا ، وخاصة بعد أن تم إسعافه بالمستشفى الوحيدة فى (كيواوا) ، ولم تمض ساعة ونصف الساعة ، حتى كان يجلس فى حجرة الحاكم (خوان) ، الذى بدا متوترًا مرتبكًا ، و (خوليو موراليس) يقول :

ـ من حسن حظك يا سنيور (أميجو) أن الحاكم (خوان) ، رجل شريف ، فقد أرسل إلينا رسالة مذيّلة بتوقيعه ، بوساطة (الفاكس) ، يبلغنا فيها بما يحاول هؤلاء الرجال فعله معك ، وقال : إنه فقد السيطرة على الموقف ، ويطالبنا بالتدخّل مباشرة لإنقاذك .

كان (خوان) يعلم أنه لم يرسل قط مثل هذه الرسالة ، على الرغم من أن التوقيع الذى تحمله هو توقيعه بلا جدال ، ولكنه اختلس نظرة مضطربة إلى (أدهم) ، وهو يقول :

ـ آه .. بالطبع .. كان كل ما يفعلونه مخالفًا للقانون ، وحتى رئيس الشرطة الراحل كان يعمل لحسابهم ، ويغض الطرف عن وحشيتهم وأساليبهم المخالفة للقانون ، ولم أكن أملك سوى الاتصال بكم مباشرة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. أنت رجل شريف أيها الحاكم .

تنفس (خوان) الصعداء ، وهو يقول :
ـ أشكرك يا سنيور (أميجو) .. أشكرك كثيرًا .
نهض (خوليو) ، قائلا :
ـ والآن أيها السادة .. هل تشعر أنك تستطيع اصطحابى إلى العاصمة يا سنيور (أميجو) ؛ لإتمام الإجراءات اللازمة ؟
ابتسم (أدهم) ، قائلا :
ـ بالتأكيد يا سنيور (خوليو) .. بالتأكيد .
صافحهم الحاكم فى حرارة ، وهم يغادرون مقره ، وأرسل عددًا من رجال الشرطة لاصطحابهم إلى ذلك المطار الصغير ، حيث استقلوا طائرة خاصة ، لم تكد ترتفع فى سماء (كيواوا) ، حتى ابتسم (خوليو موراليس) ، وقال بلغة عربية ، ولهجة مصرية خالصة :
ـ حمدًا لله على سلامتك يا سيادة العقيد .
هتفت (منى) فى سعادة وحماس :
ـ كانت خطة عبقرية مدهشة يا (هشام) .. لقد أحسنت أداء دور مندوب الرئيس ، وكانت لغتك الإسبانية رائعة .
ابتسم (هشام) ، الذى كان يحمل منذ لحظات اسم (خوليو) ، وهو يقول :
ـ هل نسيت أننى أقيم هنا بصفة دائمة يا سيادة الرائد ؟

سأله (أدهم) :
ـ وكيف فعلتم هذا ؟
أجابه (هشام) مبتسما ؟
ـ لقد استغل (قدرى) توقيع الحاكم على أوراقك ، وقلده فوق رسالة بخطة ، يستعين فيها بالمسئولين فى العاصمة لإنقاذك من مؤامرة ضخمة ، وأرسلت القيادة فى (القاهرة) هذه الرسالة بوساطة (الفاكس) ، إلى مكتبنا فى (مكسيكو سيتى) ، مع تفاصيل العملية ، فأسرعت أستأجر هذه الطائرة الخاصة ، وهرعت إلى هنا ، ولأن الحاكم متورط فى المؤامرة بالفعل ، فلم يكن من صالحه أن ينكر إرسال هذا الاستنجاد ، لأن إرساله يعفيه من المسئولية كلها .. كما أنه لم يحاول التأكد من صفتى ومطالعة هويتى ، بسبب اضطرابه وارتباكه ، عند رؤيته للرسالة المزيفة .
ضحكت (منى) ، وهى تقول :
ـ يا إلهى !.. عبقرى هو (قدرى) هذا ، حتى وهو فى فراش المرض ..
تنهد (أدهم) ، وسأل (هشام) :
ـ والآن ، إلى أين ننطلق ؟
أجابه فى هدوء :

- إلى العاصمة ، حيث ستستقلان طائرة المساء إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

سألته (منى) :

- ألن تعود إلى (القاهرة) ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- بالطبع .. سترحلان إلى (القاهرة) فجر الغد ، فهم ينتظرونكما هناك بفارغ الصبر .

ثم غمز بعينيه ، مغمغمًا :

- أعتقد أنها مهمة جديدة .

هتفت (منى) :

- بالتأكيد .

والتفتت إلى (أدهم) ، الذى أسبل جفنيه ، وبدا وكأنه فى سبات عميق ، فابتسمت فى حنان ، وهمست :

- لقد بذل جهدًا مضنيًا ، وهو يحتاج إلى الراحة حتمًا .

وواصلت الطائرة طريقها .

★ ★ ★

٩ - الختام ..

تهللت أسارير (قدرى) ، وهبّ جالسًا على فراشه بالمستشفى ، وهو يهتف :

- (أدهم) .. (منى) .. حمدًا لله على سلامتكما .. كم تسعدنى رؤيتكما ثانية .

صافحه (أدهم) ، وربّت على كتفيه فى حرارة ، وهو يقول :

- حمدًا لله على سلامتك أنت يا صديقى العزيز .. الواقع أن الفضل فى نجاتنا يعود إلى الله سبحانه وتعالى ، وإلى عبقريتك الفذة فى فن التزوير .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول :

- وهل تظن أن وجودى فى هذا المكان اللعين ، يمكن أن يمنعنى من مساعدتك ، عندما تحتاج إلىّ ؟!

جلست (منى) إلى جواره ، وهى تقول :

- الحقيقة أنك تستحق جائزة من أجل هذا .. ماذا تفضّل ؟!

هتف بسرعة :

ـ دجاجة مشوية ، وكثير من الأرُز .

ضحكت قائلة :

ـ يا إلهى !.. ألا يشغلك سوى الطعام يا (قدرى) ؟

هتف ضاحكًا :

ـ هناك الشراب والحلوى أيضًا .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطردًا :

ـ أليس كذلك يا صديقى ؟

غمغم (أدهم) فى شرود ، وهو يتطلّع عبر النافذة :

ـ بالتأكيد .

مال (قدرى) على أذن (منى) ، وهمس :

ـ ماذا هناك ؟

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ لست أدرى .. إنه هكذا منذ عودتنا ، حتى أننى أتساءل : هل ربحنا معركتنا فى (كيواوا) أم خسرناها ؟!..

والعجيب أن هذا كان السؤال نفسه ، الذى يشغل عقل (أدهم) ، ويدفعه إلى الشرود على هذا النحو ..

هل ربح معركة أم خسرها ؟..

صحيح أنه نجا من موت محقَّق ، وهزم جيشًا من القتلة والمجرمين والأشرار ، وتحدّى سلطات مدينة كاملة ، وكشف علاقة (سونيا جراهام) بمنظمة (سناك) الجديدة ..

ولكن ..

البحث وراء رقم الهاتف لم يسفر عن شىء ، بعد أن محته (سونيا) بنفوذها ونفوذها من الوجود ، وكأنه لم يكن ..

وكل رجالها لقوا مصرعهم فى القتال ..

ولم يعد هناك أثر واحد يقود إليها ..

ولا إلى ابنه الوحيد ..

فكيف يعتبر (أدهم) هذا ؟!..

نصر أم هزيمة ؟...

ولم يكن من السهل أن يعثر عقله على جواب شاف ..

لم يكن من السهل أبدًا .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]